تحقيق كلمة الإخلاص

للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلي

المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

حققه وضبطه وعلق عليه

محمود خليفة
المدرس في كلية الشريعة

و

أحمد الشرباصي
المدرس في الأزهر الشريف

١٩٥٠ م

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

تحقيق كلمة الإخلاص

للحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن المعروف بابن رجب الحنبلي

المتوفى سنة ٧٩٥ هـ

حققه وضبطه وعلق عليه

محمود خليفة و أحمد الشرباصي

المدرس في كلية الشريعة — المدرس في الأزهر الشريف

١٩٥٠ م

مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــدير

الحمد لله كتب الخلود لدعوته ، وسجّل البقاء لشريعته : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » ، سبحانه أنعم على الصفوة المختارة من عباده وأوليائه بنعمة الهداية إلى طريقه ، والتذكير بدينه ، والتحريض على إخلاص العبادة له ، وبذل النفس والنفيس فى سبيله ؛ وصلاة وسلاما دائمين موصولين على سراج الظلمة ، وكاشف الغمة ، ونبى الأمة ، وجامع الكلمة ، سيدنا محمد عبدِ الله ورسوله ، الذى أوتى جوامع الكلم ، وأُيِّد بالقول البليغ والبيان السديد ، وعلى آله وصحابته ، وجنده وأتباعه الذائدين عن ملته ، حتى يقوم الناس لرب العالمين ؛ وبعد ، فإن كتاب « تحقيق كلمة الإخلاص » للامام الحافظ ابن رجب الحنبلى من نوادر الكتب ، فهو على صغر حجمه جليل الأثر حميد الثمر ، من حقه أن يكون تحفة دينية يتهاداها أبناء الإسلام ويجيلون فيها أبصارهم ، ويُعْمِلون فى معانيها بصائرهم ؛ ولا غرو فقد بسط فيه ابن رجب ما انطوت عليه كلمة الإخلاص وهى : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله » من أبكار المعانى وأسرار الأفكار . .

ولما كان هـذا الـكتاب اللطيف عزيزَ المنال غزير المنهل رأينا وفاء للسابقين ، وعملا لتأييد كلمة الدين ، وتثقيفاً لجماعة المسلمين ، أن نُظهر هذا الـكتاب ، بعد تحقيقه وضبطه ، والتعليق عليه ، والترجمة لرجاله ، وشرح ما يحتاج إلى شرح من ألفاظه وعباراته ، فى طبعـة جديدة ، لها رواؤها وبهاؤها ؛ سائلين الله تباركت أسماؤه ، وتتالت نعماؤه ، أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الـكريم ، وأن يجعل مسيرَه بين الناس من علامات قبوله ، وأن يجزينا به خيراً يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، إنه سبحانه أكرم مسئول وأفضل مأمول ! . . .

محمود خليفة — أحمد الشرباصى

القـاهرة فى { ربيع الثانى سنة ١٣٦٩ هـ
فـبراير سـنة ١٩٥٠ م }

التعريف بابن رجب

هو الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن ، ابن الإمام المقرئ المحدِّث شهاب الدين أحمد ، ابن الإمام المحدث أبي أحمد رجب ، وقد اشتهر بين العلماء والمؤرخين بابن رجب الحنبلي ، وهو العالم الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة الحنبلي المذهب ، يعبِّر عنه الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية بهذه العبارة : « وقال العلامة الحافظ زين العابدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن رجب الحنبلي الواعظ المحدِّث الفقيه البغدادي ثم الدمشقي ، أكثرَ الاشتغال بالحديث حتى مهر ، وشرحَ الترمذي والعلل له ، وقطعة من البخاري ، وله طبقات الحنابلة ، مات في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة » . وهي كما ترى عبارة تدل على عظيم التقدير وظاهر الإجلال .

قدم ابن رجب من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير ، سنة أربع وأربعين وسبعمائة ، وأجازه ابن النقيب والنووي ، وسمع بمكة على الفخر عثمان بن يوسف ، واشتغل بسماع الحديث برعاية والده وعنايته ، وسمع بمصر من صدر الدين أبي الفتح الميدومي ، ومن جماعة من أصحاب

ابن البخارى ، وكانت مجالس تذكيره للقلوب موقظة وصارعة ، وللناس عامة مباركة نافعة ، وقد اجتمعت الفرق فى زمانه عليه ، ومالت القلوب بالمحبة والإعجاب إليه ؛ وله كثير من المؤلفات والمصنفات المفيدة ، وأغلبها فى سنة الرسول والذبِّ عن الملة ، وقد طُبع أكثر هذه المصنفات ونفِد ، لكثرة إقبال الناس عليها ، ومن هذه المؤلفات كتاب « نور الاقتباس » شرح فيه حديث وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضى الله عنهما ، شرحاً يدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه وقوة تأثيره ؛ وكتاب « جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم » وهو كتاب يصول فيه ابن رجب ويجول ، عارضاً بضاعته الثمينة الغالية التى تدل على طول باعه فى علم الحديث ، وإحاطته بأسرار السنة ، ودرايته بشمائل الرجال ودرجاتهم ؛ وكتاب « كشف الكربة بشرح حديث الغربة » وقد شرح فيه الحديث : « بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء » وكتاب « القواعد » فى أصول الفقه ، وهو من أمهات الكتب التى يرجع إليها علماء الفقه ، وكتاب « تحقيق كلمة الإخلاص » وهو الكتاب الذى بين يديك ، وغير ذلك كثير ، ما بين موجود ومفقود .

تُوفى ابن رجب رحمه الله بدمشق ليلة الاثنين لأربع خلون من رمضان ، ودفن هناك ، سنة خمس وتسعين وسبعمائة ، أسبغ الله عليه سحائب رحمته ورضوانه ، ونفع المسلمين بكتبه وآثاره .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أخرج البخارى[1] ومسلم[2] فى الصحيحين

---

(١) هو الامام العلم حبر الاسلام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة البخارى الجعفى صاحب الصحيح فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصاحب التصانيف الجليلة ، ولد ببخارى سنة أربع وتسعين ومائة . وارتحل فى طلب العلم ، وسمع من ألف شيخ ، وكان من أوعية العلم، يتوقد ذكاء ، ولم يخلف بعده مثله ، وعن أبى إسحق الريحانى أن البخارى كان يقول: صنفت كتاب الصحيح بست عشرة سنة ، خرجته من ستمائة ألف حديث . وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى ؛ وقال مسلم للبخارى : لايعيبك إلاحاسد ، وأشهد أن ليس فى الدنيا مثلك . وكان يقول: أرجو أن ألقى الله عز وجل ولا يحاسبنى أنى اغتبت أحدا . وكان لا يضع حديثاً فى كتابه الصحيح إلا ويصلى بعده ركعتين شكراً لله ؛ ثم جاء البخارى إلى خرتنك ، وهى قرية من قرى سمرقند ، على بعد فرسخين منها ، ونزل على أقرباء له بها ، ثم دعا بالليل فقال : اللهم قد ضاقت على الأرض بما رحبت فاقبضنى إليك . فما تم الشهر حتى قبضه الله عز وجل إليه ، وقبره بخرتنك ، وتوفى ليلة السبت عند صلاة العشاء ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين ، ومناقبه كثيرة .

(٢) هو أحد الأئمة الحفاظ وأعلام المحدثين أبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيرى النيسابورى صاحب الصحيح وأحد أركان الحديث ، ولد سنة أربع ومائتين ، وجال لطلب العلم فى بلاد كثيرة ، وكان من الثقات =

عن أنس[1] رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ راكباً ، ومعاذ[2] رديفه[3] على الرحل ، فقال : يامعاذ ! قال : لَبَّيك يا رسول الله

= المأمونين ؛ قال : صنفت هذا المسند الصحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة وقال الخطيب البغدادى : كان مسلم يناضل عن البخارى حتى أوحش مابينه وبين محمد بن يحيى الذهلى بسببه . وكتابه الصحيح حسن الوضع قليل التكرار وبعضهم يفضله على البخارى ، ولكن أهل الاتقان والتحرى يرون البخارى أدق وأصح وأوسع فى صناعة الحديث ؛ وروى عن مسلم أنه كان صاحب تجارة بخان بحمس بنيسابور ، وكان له أملاك وثروة ، وتوفى رضى الله عنه سنة إحدى وستين ومائتين .

(١) هو الصحابى الجليل أبو حمزة أنس بن مالك الأنصارى البخارى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قدم إلى المدينة وهو ابن عشر سنين ، والتحق بخدمة الرسول ، ودعا له الرسول بكثرة المال والولد ، والبركة فيهما وفيما أوتى ، فدفن لصلبه إلى مقدم الحجاج البصرة مائة وعشرين ، وكان نخله يثمر فى العام مرتين ، وتوفى رضى الله عنه سنة ثلاث وتسعين على الراجح ، وقيل سنة تسعين أو إحدى أو اثنتين وتسعين .

(٢) هو سلطان العلماء وأعلم الأمة بالحلال والحرام الصحابى الجليل معاذ بن جبل الأنصارى الخزرجى ، وقد ورد أن العلماء تأتى تحت رايته يوم القيامة ، وقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : « إنى أحبك يا معاذ » . وهو من فضلاء الصحابة وفقهائهم ، وهو ممن شهدوا بدرا ، وحسبك بها منقبة ، وكان ممن جمع القرآن، وقد أرسله الرسول والياً على جانب من اليمن سنة عشر ، وقيل إنه هو الذى بنى مسجد الجند باليمن ، وظل هناك حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد له الرسول بأنه أعلم أمته بالحلال والحرام ، وقال فيه حسب رواية الترمذى : « نعم الرجل معاذ بن جبل » . واستشهد رضى الله عنه فى طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة هجرية .

(٣) الرديف فى اللغة والردف والمرتدف والردافى كحبارى هو الراكب خلف الراكب ، وهو المناسب هنا ؛ والرديف أيضاً كل ما تبع شيئاً ، وجليس الملك عن يمينه يشرب بعده ، ويخلفه إذا غزا ؛ والموضع الذى يركب فيه الرديف يسمى الرِّداف بوزن الكتاب .

وسَعْدَيك ![1] قال : يا معاذ ! قال : لبيك يا رسول الله وسعديك ! قال : يا معاذ ! قال : لبيك يارسول الله وسعديك ! قال : ما مِنْ عبدٍ يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسوله إلا حرّمه الله على النار . قال : يا رسول الله ، ألا أُخبر بها الناسَ ؟ قال : إذاً يَتّكلوا . فأخبرَ بها معاذٌ عند موته تأثُّماً .

وفى الصحيحين عن عِتْبان بن مالك[2] رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : إن الله حرَّم على النارِ من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجهَ الله . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة[3] رضى الله عنه —

---

(١) لبيك مأخوذ من لب بمعنى أقام ، والمعنى : أنا مقيم على طاعتك إلباباً بعد إلباب ، أى إقامة بعد إقامة ، وإجابة بعد إجابة ، أو معناه : اتجاهى إليك وقصدى لك ، وذلك من قولهم : دارى تلب داره ، أى تواجهها ؛ أو معناه : محبتى لك ، من قولهم : امرأة لبة ، بو زن حبة ، أى محبة لز وجها ؛ أو معناه إخلاصى لك . من قولهم : حَبٌّ لباب أى خالص . . . وسعديك : أى إسعاداً لك بعد إسعاد ! . (وتأثماً) فى آخر الحديث أى : تخلصاً من الاثم .

(٢) هو الصحابى المشهور عتبان (بكسر أوله وسكون التاء) ابن مالك ابن عمر و العجلانى الأنصارى السالمى ، روى طائفة من الأحاديث ، ومات فى خلافة معاوية .

(٣) هو الصحابى المعروف أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسى ، كانت له هرة صغيرة فكنوه بها ، وكان كثير العبادة والذكر حسن الأخلاق ، وكان حافظ الصحابة وأكثرهم رواية زادت مروياته عن خمسة آلاف حديث وولاه الرسول ذات مرة ولاية المدينـة ، وكان فقيراً يخدم النـاس قبل صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه ، وكان لايسأل الناس شيئاً رغم ذلك ؛ و رفع يوماً على جاريته سوطاً ثم قال : لولا خوف القصاص لأوجعتك ، ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك ، اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى . وكان يقول : المرض لايدخله رياء ولا سمعة ، بل هو أجر محض،ومع هذا =

أو أبى سعيد[1] بالشك — أنهم كانوا مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك[2]

= كان فى أبى هريرة دعابة ، كان أثناء الخلاف بين على ومعاوية يصلى خلف على ويأكل على سماط معاوية ويعتزل القتال ، ويقول : الصلاة خلف على أتم ، وسماط معاوية أدسم ، وترك القتال أسلم . . . أسلم عام خيبر سنة سبع ، و روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ، ولما حضرته الوفاة بكى فقيل له فى ذلك فقال: أبكى على بعد سفرى،وقلة زادى ، وأنى أصبحت على مهبط جنة أو نار ، لا أدرى أيهما يأخذ بى ؛ توفى فى المدينة فى خلافة معاوية سنة سبع وخمسين ، وله من العمر ثمان وسبعون سنة رضى الله عنه .

(١) هو الصحابى الجليل أبو سعيد سعيد بن مالك بن شيبان الخدرى الأنصارى، وكان من أعيان الصحابة وفقهائهم ، شهد الخندق وبيعة الرضوان وغيرهما ، وروى طائفة من الأحاديث . رُوى عنه أنه قال : قتل أبى يوم أحد شهيداً ، وتركنا بغير مال ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أسأله شيئاً . فلما رآنى قال : من استغنى أغناه الله ، ومن يستعف أعفه الله . قلت : ما يريد غيرى ، فرجعت . و روى أنه كان من حفاظ الحديث المكثرين . وتوفى سنة أربع وسبعين للهجرة رضى الله عنه يوم الجمعة ودفن بالبقيع . وإنما قال راوى الحديث « أو أبى سعيد » بصيغة الشك ، نشدة دقته ومبالغته فى تحديد الرواية ، حتى لا يكون متهجماً على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذلك يتبين لك مقدار ما كان يحيط رواية الحديث من عناية وحوافظ .

(٢) كانت غزوة تبوك فى شهر رجب سنة تسع ، وفيها توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزو الروم ، وكان ذلك فى زمن عسرة من الناس ، وجدب من البلاد، وحين طابت الثمار، فالناس يحبون المُقام فى ثمارهم وظلالهم ويكرهون الانتقال ، وصرح الرسول بالخروج إليها على خلاف عادته ، ولذلك استبان بها الصادقون من المنافقين والمتخذلين ،و وقف فيها الصحابى أبو خيثمة موقفاً جميلا تراه مذكوراً فى كتب السيرة ، وكسب الاسلام والمسلمون فى هذه الغزوة كثيراً ، وهى الغزوة التى تخلف بها متخلفون عامدون نفاقاً وخذلاناً للمسلمين ، وتخلف فيها متخلفون معذورون ، وكان فيها أيضاً موقف البكائين الذين لم يجدوا رواحل للخروج ،ولذلك قال الرسول وهو عائد منها =

فأصابتهم مجاعة ، فدعا النبي ﷺ بِنِطْع[1] فبسطه ، ثم دعا بفضلِ أزوادهم ، فجعل الرجل يجيء بكِسْرة ، وجعل الرجل يجيء بكفٍّ ذرة ، والرجل يجيء بكف تمر ، حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم قال : خُذوا فى أوعيتكم ؛ فأخذوا فى أوعيتهم ، حتى ما تركوا فى العسكر وعاء إلا ملؤوه ، فأكلوا حتى شبعوا ، وفضل فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، لا يلقى اللهَ بهما عبدٌ غيرَ شاكٍّ فيهما فيُحجبَ عن الجنة .

وفى الصحيحين عن أبى ذر[2] رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : ما من عبد قال (لا إله إلا الله) ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وإن زنى ، وإن سرق ؟ ! . قال : وإن زنى وإن سرق . قلت :

= لأصحابه : إن بالمدينة أقواما ماسرتم مسيرا، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم قالوا : يارسول الله ، وهم بالمدينة ؟ قال : نعم ، حبسهم العذر . وفيها أيضاً قصة الثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية ، وقد أشار القرآن الكريم إلى قصتهم فى آخر سورة التوبة.

(١) النطع بكسر النون وبالتحريك وكعنب بساط من الأديم أى الجلد وجمعه أنطاع ونطوع .

(٢) هو الصحابى الجليل ، والمسلم الصادق الاسلام واللسان أبو ذر جندب بن جنادة الغفارى الذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم : « ماأظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبى ذر » وهو صاحب الدعوة الأولى إلى الاشتراكية الاسلامية ، وصاحب الحملة العنيفة المشهورة على أصحاب الأموال وكانزيها ، فقدكان يعرِّض بهم ويحمل عليهم، ويردِّد فى شأنهم قول الحق : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » ؛ وقصة إسلامه مشهورة =

و إن زنى و إن سرق ؟!. قال : و إن زنى و إن سرق !. وقال فى الرابعة : و إن رَغِمَ[١] أنفُ أبى ذر ؛ فخرج أبو ذر وهو يقول : و إن رغم أنف أبى ذر ! .

وفى صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت[٢] رضى الله عنه أنه قال عند موته : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم ورُوحٌ منه ، وأن الجنة حق ، والنارَ حق ، أدخله الله الجنة ، على ما كان عليه من العمل .

وفى المعنى أحاديث كثيرةٌ يطول ذكرُها .

و أحاديث هذا الباب نوعان :

(أحدها)[٣] مافيه أنَّ من أتى بالشهادتين دخل الجنة ولم يحجب

= مذكورة فى كتب السنة والسيرة ، وقدكان رضى الله عنه زاهداً متقشفاً لسناً. تعرض فىسبيل دعوته لمتاعب ، وضاق به عثمان رضى الله عنه فنفاه إلىالرَّبَـذَة وهىقرية قريبة من المدينة ، فمات بها علىقارعة الطريق بلاسَـبَـدأولَـبَـد ، سنة ثنتين وثلاثين ، ودفن بها ، وكان يقول : لو أن صاحب المنزل يدعنا فيه لملأناه أمتعة ، ولكنه يريد نقلتنا منه ! .. . ولذلك كان لايدخر فى بيته شيئاً رضى الله عنه وأرضاه . . !

(١) الرغم بفتح الراء وسكون الغين الكرْه ، و رغم أنف فلان لله تعالى أى ذل له عن كره ، وحدث هذا رغم أنف فلان أى بدون رضاه .

(٢) هو الصحابى النقيب عبادة بن الصامت ، شهد بدراً وما بعدها ، و وجهه عمر إلى الشام قاضياً ومعلماً ، فأقام بحمص ، ثم انتقل إلى فلسطين ، ومات بها سنة خمس وثلاثين للهجرة ، وقيل مات بالرملة ، ودفن ببيت المقدس رضى الله عنه .

(٣) هكذا بالأصل الوحيد الذى بين أيدينا والصحيح لغة : أحدهما .

عنها ، وهذا ظاهر ؛ فإن النار لا يخلَّد فيها أحد من أهل التوحيد الخالص ، وقد يدخل الجنة ولا يُحجَبُ عنها إذا طُهِّر من ذنوبه بالنار .

وحديث أبى ذر معناه : أن الزنى والسرقة لا يمنعان دخولَ الجنة مع التوحيد، وهذا حق لا مِرْية فيه ؛ ليس فيه أن لا يعذَّب عليهما مع التوحيد .

وفى مسند البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً[1] : من قال لا إله إلا الله نفعته يوماً من دهره يصيبه قبل ذلك ما أصابه .

(الثانى) : ما فيه أنه يحرم على النار ؛ وقد حمله بعضُهم على الخلود فيها ، أو على ما يخلَّد فيها أهلُها ، وهى ما عدا الدرك الأعلى ، فإن الدرك الأعلى يدخله كثير من الموحدين[2] ؛ من عصاتهم بذنوبهم ، ثم يخرجون بشفاعة الشافعين ، وبرحمة أرحم الراحمين .

وفى الصحيحين : أن الله تعالى يقول : وعزَّتى وجلالى لأُخرجنَّ من النار من قال لا إله إلا الله .

وقالت طائفة من العلماء : المراد من هذه الأحاديث أن لا إله إلا الله سببٌ لدخول الجنة والنجاة من النار ، ومقتضٍ لذلك ، ولكن المقتضى

(١) المرفوع : هو الحديث الذى أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

(٢) والذى عليه أكثر العلماء أن جهنم أعلى الدركات ، وهى مختصة بالعصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى التى تخلى من أهلها فتصفق الرياح أبوابها . ثم لظى ، ثم الحطمة ، ثم سعير ، ثم سقر ، ثم الجحيم ، ثم الهاوية (من القرطبى . عند تفسير قوله تعالى : لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) .

لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه ، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه ، أو لوجود مانع ؛ وهذا قول الحسن[1] ووهب

---

(١) هو الامام العَلَم أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن البصري ، إمام أهل البصرة ، وأفضل أهل زمانه ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ، وسمع خطبة عثمان ، وأبوه كما فى الشذرات مولى زيد بن ثابت ، وفى الطبقات : كان والده من أهل ميسان فسبى فهو مولى الأنصار ؛ وأمه مولاة أم سلمة أم المؤمنين وزوجةِ الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان ربما أعطته أم سلمة ثديها فى صغره تعلله به حتى تجئ أمه فيدر عليه ؛ فيروون أن علمه وفصاحته وورعه من بركة ذلك ، وكان جميلا فصيحاً جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً حجة مأمونا عابدا ناسكاً كثير العلم وسيما ومن عظته لابن هبيرة والى يزيد على العراق : « ياابن هبيرة ، خف الله فى يزيد ، ولا تخف يزيد فى الله ، فان الله يمنعك من يزيد ، ولا يمنعك يزيد من الله ! . . ويوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ، ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ، ثم لا ينجيك إلا عملك ! . . ياابن هبيرة ، إياك أن تعصى الله فانما جعل الله هذا السلطان ناصراً لدين الله تعالى وعباده ، فلا تتركن دين الله وعباده لهذا السلطان ، فانه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » ! . وللحسن مع الحجاج مواقف مشهودة ، وقد جمع القرآن وهو ابن اثنتى عشرة سنة ، ثم لم يخرج من سورة إلى غيرها حتى يعرف تأويلها ، وفيم أنزلت ، ولم يأمر بشىء حتى فعله ، ولم ينه عن شئ حتى تركه . وقيل ليونس ابن عبيد : أتعرف أحدا يعمل بعمل الحسن ؟ فقال : والله ما أعرف أحداً يقول بقوله فكيف يعمل بعمله ؟ . ثم وصفه فقال : كان إذا أقبل فكأنه أقبل من دفن حميمه ، وإذا جلس فكأنه أسير أُمر بضرب عنقه ، وإذا ذكرت النار فكأنها لم تخلق إلا له ! . وكان يقول رضى الله عنه : شر الناس للميت أهله ، يبكون عليه ولا يهون عليهم قضاء دينه . ويقول : أدركنا أقواماً كانوا فيما أُحل لهم أزهد منكم فى حرم عليكم . وقيل له مرة : إن الفقهاء يقولون كذا وكذا ، فقال : وهل رأيتم فقيهاً قط بأعينكم ؟ إنما الفقيه الزاهد فى الدنيا ، البصير بذنبه ، المداوم على عبادة ربه عز وجل . وعظاته وأقواله الحكيمة كثيرة مؤثرة ، توفى رضى الله عنه سنة عشر ومائة .

ابن منبه [1] ، وهو أظهر .

وقال الحسن للفرزدق [2] وهو يدفن امرأته : ما أعددتَ لهذا اليوم ؟.

---

(١) هو أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعانى من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن ، وولى القضاء لعمر بن عبد العزيز ، وكان شديد العناية بكتب الأولين وأخبار الأمم وقصصهم بحيث كان يشبَّه بكعب الأحبار فى زمانه وله مصنف فى ذكر ملوك حمير ، وقال عنه الذهبى : وهب بن منبه ثقة مشهور ، قَصَّاص خير ، ضعفه أبو حفص الفلاَّس وحده . ومن كلام وهب : كان الناس ورقاً بلا شوك ، وأنتم اليوم شوك لا ورق فيه ، إن تركهم العبد وهرب تبعوه ! . وكان يقول : اتخذوا عند الفقراء يداً فان لهم دولة يوم القيامة . وأتاه رجل فقال : إنى مررت على فلان وهو يشتمك ، فغضب وذهب وقال : ما وجد الشيطان غيرك رسولا ؟ . ثم إن ذلك الشاتم جاء فأجلسه إلى جنبه . وكان يقول : من كانت بطنه وادياً من الأودية كيف يصلح له الزهد فى الدنيا ؟ . وتوفى وهب بصنعاء سنة أربع عشرة ومائة .

(٢) هو أبو الأخطل وأبو فراس الفرزدق همام بن غالب التميمى الدارمى المجاشعى من سراة قومه ، وأمه ليلى بنت حابس ، وهو أفخر شعراء عصره وأجزلهم فى المديح والهجاء ، ولد سنة ١٩ هـ ونشأ بالبصرة . ولم تشب لهجته عجمة ولا لحن ، فأخذه أبوه بروابة الشعر ونظمه ، وأخذه أبوه يوماً إلى الامام على وقال له : هذا ابنى يوشك أن يكون شاعراً مُجيداً . فقال على : أقرئه القرآن فهو خير له ! . فما زالت تلك العبارة فى نفس الفرزدق حتى قيَّد نفسه بقيد وأقسم ألا يفكه حتى يحفظ القرآن ، ووفى بعهده رغم أميته ، ولقد اجتمع الحسن البصرى والفرزدق فى جنازة نوار امرأة جرير ، فقال له الفرزدق : أتدرى ما يقول الناس يا أبا سعيد ، يقولون اجتمع خير الناس وشر الناس . فقال الحسن : لستُ بخيرهم ولستَ بشرهم ، ولكن ما أعددت لهذا اليوم ؟ فقال الفرزدق : شهادةَ أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة ، فقال الحسن : نعم — والله — العدة . وعن أبى عمرو بن العلاء قال : شهدت الفرزدق وهو يجود بنفسه فما رأيت أحسن ثقة بالله منه . . وترجى له الزلفى والفائدة وعظيم العائدة بحبه لأهل البيت ؛ وقد عاش الفرزدق قريباً من مائة سنة ، وتوفى سنة عشر ومائة .

قال : شهادَةَ أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة . قال الحسن : نِعْمَ العُدَّة . لكنّ لـ (لا إله إلا الله) شروطاً ، فإياك وقذفَ المحصنات ! .

وقيل للحسن : إن ناساً يقولون : من قال لا إله إلا الله دخل الجنة : فقال : من قال لا إله إلا الله ، فأدى حقها وفرضها دخل الجنة .

وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال : بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فُتِحَ لك ، و إلا لم يُفتح لك .

وهذا الحديث : (أن مفتاح الجنة لا إله إلا الله) أخرجه الإمام أحمد بإسناد منقطع[1] عن معاذ قال : قال لى رسول ﷺ : إذا سألك أهل اليمن عن مِفتاح الجنة فقل : لا إله إلا الله . و يدل على هذا كونُ النبى ﷺ رتَّب دخولَ الجنة على الأعمال الصالحة فى كثير من النصوص ، كما فى الصحيحين عن أبى أيوب[2] أن رجلاً قال : يارسول الله ؛ أخبرنى بعمل يُدخلنى الجنة قال : تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة وتصل الرحم . وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال : يارسول الله !

---

(١) المنقطع : هو ما سقط من رواته راو واحد قبل الصحابى فى الموضع الواحد ، وكذا فى موضعين فأكثر ، بحيث لايزيد الساقط فى كل منها على واحد .

(٢) هو الصحابى الجليل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى ، من السابقين إلى الاسلام ، وممن شهدوا العقبة ، ومناقبه كثيرة ، وموضع بيته بالمدينة هو المكان الذى نزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الهجرة ، وفيه بركت ناقته ، ولذلك يوجد به موضع يقال له «المبرك» ، وهم يعنون مبرك الناقة ، وقد توفى أبو أيوب الأنصارى سنة إحدى وخمسين للهجرة أو ثنتين وخمسين ، والأول أرجح . وكانت وفاته بالقسطنطينية حينما كان مع أصحابه يحاصرونها ، وقبره كما ذكر ابن العماد الحنبلى فى شذرات الذهب تحت سورها يستسقى به ويتبرك .

دُلَّنِي على عمل إذا عملته دخلت الجنة . قال : تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدى الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . فقال الرجل : والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئاً ، ولا أنقص منه . فقال النبي ﷺ : من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا .

وفى المسند[1] عن بشير بن الخصاصية[2] قال : أتيت النبي ﷺ لأبايعه فاشترط علىّ شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أوتى الزكاة ، وأحج حجة الإسلام ، وأن أصوم رمضان ، وأن أجاهد فى سبيل الله . فقلت : يا رسول الله ، أما اثنتين فوالله ماأطيقهما :

---

(١) المسند هو المصدر الثبت والكتاب الجامع الذى جمع فيه الامام الجليل أحمد بن حنبل أحاديث الرسول الكريم عليه الصلاة والتسليم ، وقد كان هذا السفر العظيم على الرغم من جلالة قدره وقدر صاحبه غير مرتب على الطريقة المعاصرة فوفق الله لترتيبه وشرحه والتذييل له الرجل التقى الصالح الشيخ عبد الرحمن أحمد الساعاتى وطبعه طبعة أنيقة ، وهناك أيضاً طبعة حديثة آخذة طريقها بتحقيق المحدث المفضال الشيخ أحمد شاكر .

(٢) هو بشير بن معبد بن شراحيل ، وكان اسمه فى الجاهلية نذيراً فهاجر إلى النبى فسماه بشيراً وأنزله الصفة . وعن بشير قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى إلى الاسلام ثم قال لى : ما اسمك؟ قلت : نذير . قال: بل أنت بشير. قال: فأنزلنى الصفة ، فكان إذا أتته الهدية أشركنا فيها ، وإذا أتته صدقة صرفها إلينا ، قال: فخرج ذات ليلة فتبعته فأتى البقيع فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا بكم لاحقون، وإنا لله وإنا إليه راجعون، لقد أصبتم خيراً بجيلا (عظيما) وسبقتم شراً طويلا . ثم التفت إلىّ فقال : من هذا ؟ قال : فقلت : بشير . قال: أما ترضى أن أخذ الله سمعك وقلبك وبصرك إلى الاسلام من ربيعة الفرس الذين يزعمون أن لولاهم لانفكت الأرض بأهلها ، قلت : بلى يا رسول الله . قال: ما جاء بك ؟ قلت :خفت أن تنكب، أو يصيبك هامة من هوام الأرض! .

الجهادُ والصدقة . فقَبَض رسول الله ﷺ يده ثم حركها، وقال : فلا جهاد ولا صدقة، فبم تدخل الجنة إذاً ؟ . قلت: أبايعك ؛ فبايعته عليهن كلهن ؛ ففى الحديث أن الجهاد والصدقة شرط فى دخول الجنة مع حصول التوحيد والصلاة والصيام والحج .

ونظير هذا أن النبى ﷺ قال : أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ؛ ففهم عمر(1) وجماعة من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع(2) من عقوبة الدنيا بمجرد ذلك ، فتوقفوا

(1) هو أبو حفص أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب القرشى العدوى الخليفة الثانى من الخلفاء الراشدين ، ومضرب المثل فى العدل والشدة فى الحق والحرص على الدين والصدع بالصدق ، ويجتمع نسبه مع الرسول فى كعب . وهو أول من سمى بأمير المؤمنين ، وأول من وضع التاريخ الهجرى ، ودوّن الدواوين ومصر الأمصار ونظم الدولة الاسلامية الواسعة ؛ وكان لاتأخذه فى الله لومة لائم ، وصفاته ومناقبه أكثر من أن تذكر هنا ؛ وكان إذا وقع بالمسلمين أمر يكاد يهلك اهتماماً بأمرهم . وكان يأتى المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشترى لحما يومين متتابعين يضربه بالدرة ، ويقول له : هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك ؟ . . . وكان إذا حصل بالناس هم يخلع ثيابه ويلبس ثوباً قصيراً لايكاد يبلغ ركبتيه، ثم يرفع صوته بالبكاء والاستغفار وعيناه تذرفان حتى يغشى عليه . وكان فى آخر حياته يكثر من ترديد هذا الدعاء : اللهم كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وقلت حيلتى ، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مضيِّع ولا مفرط ، اللهم ارزقنى الشهادة فى سبيلك ، واجعل موتى فى بلد رسولك عليه الصلاة والسلام . واستمرت خلافته أكثر من عشر سنين ، ثم مات شهيداً ، طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، واستشهد وله ثلاث وستون سنة ، ودفن مع صاحبيه باذن عائشة وسيرته مبسوطة مشهورة

(2) أى بَعُد وصين وحُفظ .

فى قتال مانعى الزكاة ، وفهم الصدِّيق رضى الله عنه أنه لايمتنع قتاله إلا بأداء حقوقها لقوله ﷺ : فإذا فعلوا ذلك منعوا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ؛ وقال[1] : الزكاة حق المال .

وهذا الذى فهمه الصديق رضى الله عنه قد رواه عن النبى ﷺ صريحاً غيرُ واحد من الصحابة منهم ابن عمر[2] وأنس وغيرهما رضى الله عنهم، (وأنه قال) : أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة . ويؤتوا الزكاة ؛ ودل على ذلك قولُه تعالى : « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوُا الزكاة » الآية[3]. ولا تثبت إلا بأداء الفرائض مع التوحيد .

---

(١) أى أبو بكر .

(٢) هو السيد الجليل الفقيه العابد الزاهد أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوى ، كان من زهاد الصحابة ، وأكثرهم اتباعاً للسنن وأبعدهم عن الفتن ، وتم له ذلك الابتعاد إلى أن مات ، قيل : ويروى أن الرسول قال فيه : « نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل » . فكان بعد ذلك لايرقد من الليل إلا قليلا ، وقيل إنه اعتمر قريباً من ألف عمرة ، وقال مالك : بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة أفتى فى ستين منها ، وروى أنه لم يضع لبنة على لبنة ولا غرس شجرة منذ مات النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول : ياابن آدم ، صاحبِ الدنيا ببدنك وفارقها بقلبك وهمتك . ويقول لايكون الرجل من أهل العلم حتى لايحسد من فوقه ، ولا يحقر من تحته . ولا يبتغى بالعلم ثمناً . وتوفى رضى الله عنه فى سنة أربع وسبعين ، وعند موته أمر أن يدفنوه ليلا ، ولا يعلموا الحجاج لئلا يصلى عليه ، ودفن فى « ذات أذاخر » وهى قرية فوق قرية « العابدة » . وقيل : بل دفن فى الجبل الذى فوق البستان على يمين الخارج من مكة إلى المحصب .

(٣) سورة التوبة ، آية ١١ — وتمامها : « فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون » .

ولما قرر أبو بكر رضى الله عنه هـذا للصحابة رجعوا إلى قوله ، ورأوه صواباً ، فإذا عُلم أن عقوبة الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقاً بل يعاقب بإخلاله بحق من حقوق الإسلام فكذلك عقوبة الآخرة .

وقد ذهب طائفة إلى أن هذه الأحاديث المذكورة أولا وما فى معناها كانت قبل نزول الفرائض والحدود ، منهم الزهرى [1] والثورى [2] وغيرهما ،

---

(١) هو الامام أبو بكر محمد بن عبدالله بن عبيد الله بن شهاب الزهرى المدنى، أحد الفقهاء السبعة ، وأحد الأعلام المشهورين ، سمع من خلق كثير ، وله نحو ألفى حديث ، وقال فيه عمر بن عبد العزيز : لم يبق أعلم بسنة ماضية من الزهرى . وقال الزهرى عن نفسه : ما استودعت قلبى علماً فنسيته . وكان معظّماً وافر الحرمة عند هشام بن عبد الملك ، أعطاه مرة سبعة آلاف دينار : وقال عمرو بن دينار : ما رأيت الدينار والدرهم عند أحد أهون منهما عند الزهرى، كأنها بمنزلة البعر ، ورأى عشرة من الصحابة رضى الله عنهم ، وكان إذا أقبل على كتبه لم يلتفت إلى شىء ، فقالت له امرأته : والله إن هذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر . وقال ابن تيمية : حفظ الزهرى الإسلام نحوا من سبعين سنة ، ومات رضى الله عنه سنة أربع وعشرين ومائة ، وعمره أربع وسبعون سنة، ودفن بموضع هو آخر أعمال الحجاز وأول عمل فلسطين ، وبه ضيعة، وجعل قبره على قارعة الطريق ليمر مار فيدعو له ، كما يقول صاحب الشذرات .

(٢) هو الامام الفقيه العلم أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثورى ، سيد أهل زمانه علماً وعملا ، ولد رضى الله عنه سنة سبع وتسعين ، وخرج من الكوفة إلى البصرة سنة خمس وخمسين ومائة، وكانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث، وروى عن خلق كثير ، وقال ابن المبارك : كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان ؛ وقال ابن حنبل : لا يتقدم على سفيان فى قلبى أحد . وشهد له بالفضل كثير من الأقطاب ، وقال سفيان : ما استودعت قلبى شيئاً قط فخانني؛ وكان سفيان كثير النقد للمنصور بسبب ظلمه حتى همّ بقتله =

وهذا بعيد جداً ، فإن كثيراً منها كانت بالمدينة بعد نزول الفرائض والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوة تبوك وهي في آخر حياة النبي ﷺ ؛ وهؤلاء منهم من يقول هذه الأحاديث منسوخة ، ومنهم من يقول هي محكمة ولكن ضم إليها شرائط ، و يلتفت هذا إلى أن زيادة النص : هل هي نسخ أم[1] لا ، والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهور ، وقد صرَّح الثَّوري بأنها منسوخة، وأنه نسختها الفرائض والحدود ، وقد يكون مرادهم بالنسخ البيان والإيضاح ، فإن السلف كانوا يطلقون النسخ على مثل ذلك كثيراً ، و يكون مرادهم أن

= ولكن الله لم يمهله ؛ ودخل سفيان على المهدى فسلم عليه تسليم العامة،فأقبل عليه المهدى بوجه طلق وقال: تفر ههنا وههنا،أتظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك ؛ فما عسى أن نحكم الآن فيك ؟ فقال سفيان : إن تحكم الآن فيَّ يحكم فيك ملك قادر عادل يفرق بين الحق والباطل ! . فقال الربيع مولى المهدى : ألهذا الجاهل أن يستقبلك بهذا ؟ إيذن لى فى ضرب عنقه . فقال المهدى : ويلك ! اسكت ، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بسعادتهم ؟ . وولاه المهدى قضاء الكوفة فرفض،وألقى بخطاب التولية فى نهر دجلة وهرب ، فقال فيه الشاعر :

تحرز سفيان ففر بدينه ... وأمسى شريك مرصدا للدراهم

وله عظات وأقوال بليغة مؤثرة ، وقد مات رضى الله عنه بالبصرة متوارياً سنة إحدى وستين ومائة ، ومناقبه تحتمل مجلدات ، و رآه بعضهم بعد موته فى النوم فسأله عن حاله فقال :

نظرت إلى ربى عيانا فقال لى : ... هنيئاً رضائى عنك ياابن سعيد
لقد كنت قوَّاما إذا أظلم الدجى ... بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أى قصد أردته ... و زرنى فإنى منك غير بعيد !

(١) الأفصح هو: « أو لا » .

آيات الفرائض والحدود تبينَ بها توقفُ دخولِ الجنة والنجاة من النار على فعل الفرائض واجتناب المحارم ، فصارت النصوص منسوخة ، أى مبيَّنة مفسَّرة ، ونصوص الحدود والفرائض ناسخة أى مفسِّرة لمعنى تلك موضِّحة لها .

وقالت طائفة : تلك النصوص المطلقة قد جاءت مقيَّدة فى أحاديث أخر ، ففى بعضها : من قال لا إلٰه إلا الله مخلصاً ، وفى بعضها : مستيقناً ، وفى بعضها : مصدقاً بها قلبه ولسانه ، وفى بعضها : يقولها من قلبه ، وفى بعضها قد ذل بها لسانه واطمأن بها قلبه ، وهذا كله إشارة إلى عمل القلب ، وتحقِقه بمعني الشهادتين ، فتحققهُ بمعنى شهادة أن لا إله إلا الله أن لا يأله[(١)] قلبُه غيرَ الله حباً ورجاء ، وخوفا وطمعاً ، وتوكلا واستعانة ، وخضوعاً و إنابة ، وطلباً ؛ وتحققه بأن محمداً رسول الله ألا يعبد الله بغير ما شرعه على لسان نبيه محمد ﷺ ؛ وهذا المعنى جاء مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة . قيل : ما إخلاصها يا رسول الله ؟ . قال : أن تَحْجُزَكَ عما حرم الله عليك . وهذا يُروى من حديث أنس بن مالك وزيد[(٢)] بن أرقم ، ولكن إسنادها لا يصح .

---

(١) فى المصباح : أله يأله من باب تعب إلاهة بمعنى عبد عبادة ؛ وفى القاموس : أله كفتح إلاهة وألوهة وألوهية عبد عبادة ، ومنه لفظ الجلالة ، وأله إليه كفرح فزع ولاذ .

(٢) هو الصحابى الجليل زيد بن أرقم الألصارى السابق إلى الإسلام وهو غلام،والذى شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة،=

وجاء أيضا من مراسيل[1] الحسن نحوه .

وتحقيق هذا المعنى و إيضاحه أن قول العبد : (لا إله إلا الله) يقتضى أن لا إله غير الله ، والإله الذى يطاع ولا يعصى هيبة له و إجلالاً ، ومحبة وخوفاً ورجاء ، وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله لغير الله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً فى شىء من هذه الأمور التى هى من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً فى إخلاصه فى قوله : لا إله إلا الله ، ونقصاً فى توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصى التى منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه ، أو التوكل عليه أو العمل لأجله ، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء ، وعلى الحلف بغير الله ، وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوَّى بين الله و بين المخلوق فى المشيئة ، مثلا : أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ، وكذا

=وهو الذى سمع فى غزوة بنى المصطلق (وهى غزوة المريسيع) رأسَ النفاق عبد الله بن أبى بن سلول يتطاول على مقام الرسول ويقول عنه : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ؛ فأنهى زيد وهو غلام يومئذ هذا الحديث إلى الرسول ، وتنصل منه قائله الذليل ، و وجد من يعاونه على تكذيب زيد ، ونسبته إلى الوهم؛ و زيد الصادق الأمين ، وتلبَّث النبى فنزل الوحى بتصديق زيد، ودمغ المنافقين بالذلة والتحقير ، فأخذ الرسول بأذن زيد بن أرقم ثم قال : هذا الذى أوفى الله بأذنه ! . . . وقد توفى زيد بن أرقم رضى الله عنه سنة ست وستين ، وقيل سنة ثمان وستين .

(١) المرسل : ما سقط منه الصحابى .

قوله : مالى إلا الله وأنت ؛ وكذلك ما يقدح فى التوحيد وتفردِ الله بالنفع والضر كالطِّيرة والرُّقَى المكروهة ، و إتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادحٌ فى تمام التوحيد وكماله ، ولهذا أطلق الشرع على كثير من الذنوب التى منشؤها من هوى النفس أنها كفر وشرك ؛ كقتال المسلم ، ومن أتى حائضاً أو امرأة فى دبرها ، ومن شرب الخمر فى المرة الرابعة، و إن كان ذلك لايخرجه من الملة بالكلية ، ولهذا قال السلف : كفُر دون كفر ، وشرك دون شرك .

وقد ورد إطلاق الإله على الهوى المتَّبَع ، قال تعالى : « أرأيت من اتخذ إلهَـه هواه »؟. قال الحسن : هو الذى لايهوى شيئاً إلا ركبه . وقال قتادة[1] : هو الذى كلما هَوِىَ شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاه، لايحجزُه عن ذلك ورع.

ورُوى من حديث أبى أمامة[2] مرفوعاً بإسناد ضعيف : ما تحت

(١) هو الحافظ الضرير الأكمه مفسر الكتاب أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسى ، عالم أهل البصرة فى زمنه ، كان آية فى الحفظ ؛ إماماً فى النسب ، رأساً فى العربية واللغة وأيام العرب ، ومن قوله عن نفسه : ما قلت لمحدث قط أعد على ، وما سمعت شيئاً إلا وعاه قلبى . وقال فيه شيخه ابن سيرين : قتادة أحفظ الناس . وقال معمر : سمعت قتادة يقول : ما فى القرآن آية إلا وسمعت فيها شيئاً . وقد مات بمدينة واسط فى الطاعون سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل سنة ثمان عشرة ومائة .

(٢) هو الصحابى الجليل أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلى رضى الله عنه ، وهو نزيل حمص ، وقد قال : كنت يوم حجة الوداع ابن ثلاثين سنة ، وقد توفى سنة ست وثمانين ، فيكون عمره مائة وست سنين ، لأن حجة الوداع كما هو معروف كانت فى السنة العاشرة .

ظل السماء إلٰه يعبد أعظم عند الله من هوى متَّبع . وفى حديث آخر : لا تزال لا إله إلا الله تدْفَع عن أصحابها حتى يؤْثروا دنياهم على دينهم ، فإذا فعلوا ذلك رُدَّت عليهم ، و يقال لهم : كذبتم . و يشهد لهذا الحديثُ الصحيح عن النبى ﷺ : تَعِسَ عبدُ الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخَمِيصَة ، تعس وانتكس ، و إذا شِيك فلا انتقش [1] . فدل هذا على أن من أحب شيئاً وأطاعه ، وكان من غاية قصده ومطلو به ، ووالى لأجله ، وعادى لأجله ، فهو عبده ، وكان ذلك الشىء معبودَه و إلٰهه .

و يدل عليه أيضاً أن الله تعالى سمَّى طاعة الشيطان فى معصيته عبادةً للشيطان ، كما قال تعالى : « ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطانَ إنه لـكم عدو مبين [2] » وقال تعـالى حا كياً عن خليله إبراهيم عليه السلام لأبيه : « يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمٰن عصيًّا » [3] . فمن لم يتحقق بعبودية الرحمٰن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته ، ولم يخلُص من عبادة الشيطان إلا من أخلص عبودية الرحمن ، وهم الذين قال فيهم :

---

(١) تعس : أى هلك، والمقصود من العبودية هنا الاهتمام بالشىء والتفرغ له والاعتزاز به . والقطيفة : دثار له خمـَل. والخميصة : كساء أسود مربع. وانتكس : وقع على رأسه . وإذا شيك فلا انتقش : أى إذا أصابته شوكة فلا خرجت منه ، وهذا دعاء عليه بما يسوء .

(٢) سورة يس ، آية ٦٠ .

(٣) سورة مريم ، آية ٤٤ .

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان »[1] . فهم الذين حققوا قولَ : « لا إله إلا الله » ، وأخلصوا فى قولها ، وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا إلى غير الله محبةً ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا، وهم الذين صدقوا فى قول : « لا إله إلا الله » وهم عباد الله حقاً ؛ فأما من قال : « لا إله إلا الله » بلسانه ، ثم أطاع الشيطانَ وهواه فى معصية الله ومخالفته فقد كذب قوله وفعله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله فى طاعة الشيطان والهوى ، ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ؟ ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .

فيا هذا ! كن عبداً لله لا عبداً للهوى ، فإن الهوى يهوى بصاحبه فى النار : « أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » ! تعس عبد الدرهم ! تعس عبد الدينار !. واللهِ لا ينجو غداً من عذاب الله إلا من حقق عبودية الله وحده ، ولم يلتفت إلى شىء من الأغيار[2] . من علم أن إلهه ومعبوده فرد فليفْرِده بالعبودية ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً .

كان بعض العارفين يتكلم على أصحابه، على رأس جبل،فقال فى كلامه : لا ينال أحد مراده حتى ينفرد فرداً لفرد ؛ فانزعج واضطرب ، حتى رأى أصحابُه أن الصخور قد تدكدكت ، وبقى على ذلك ساعات ، فلما أفاق فكأنما نُشر من قبره .

---

(١) سورة الحجر ، آية ٤٢ – وتمامها : « إلا من اتبعك من الغاوين » .
(٢) الأغيار . جمع غير ، وهو ما سوى الله تعالى، وهذا من شائع تعبيرات الصوفية .

قوله : « لا إله إلا الله » يقتضى أن لا يحب سواه، فإن الإله هو الذى يطاع ، فلا يعصى محبة له وخوفاً ورجاء ، ومن تمام محبته محبةُ ما يحبه وكراهة ما يكرهه ، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله ، أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه فى قوله لا إله إلا الله ، وكان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما أحبه الله ، وما أحبه مما يكرهه الله . قال تعالى : « ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط اللهَ وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم [1] » .

قال الليث [2] عن مجاهد [3] فى قوله تعالى :

---

(١) سورة محمد ، آية ٢٨ .

(٢) هو شيخ الديار المصرية وعالمها أبو الحارث الليث بن سعد الفهمى المصرى ، أحد الأعلام ، ولد بقرية قرقشندة بمصر سنة أربع وستين ، روى عن الكثير ، وروى عنه الكثير ، وكان ثقة كثير الحديث صحيحه ، واشتغل بالفتوى فى زمانه بمصر ، وكان ثريا نبيلا سخيا له ضيافة . وقال يحيى بن بكير : ما رأيت أحداً أكمل من الليث ، كان فقيه النفس ، عربى اللسان ، يحسن القرآن والنحو ، ويحفظ الحديث والشعر ، حسن المذاكرة . وقال الشافعى : كان الليث أفقه من مالك إلا أنه ضيعه أصحابه . وكان نائبُ مصر وقاضيها تحت أوامر الليث ، وإذا رابه من أحد شئ كاتبَ فيه فيعزل ، وقد أراده المنصور أن يلى إمارة مصر فأبى وتولى قضاءها، وأهدى إليه الامام مالك صينية مملوءة رطباً فردها اليه مملوءة ذهباً . . . وكان لا يتغذى حتى يطعم ثلاثمائة وستين مسكيناً . توفى رضى الله عنه يوم الجمعة رابع عشر شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ، وله ضريح بالقاهرة يزار ، ومسجد باسمه .

(٣) هو الامام أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، وفى الطبقات ابن حنين ، الحبر المكى ، الذى قال فيه خصيف : كان أعلمهم بالتفسير . والذى حدث عن نفسه فقال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة . وقال له ابن عمر: وددت أن نافعاً يحفظ حفظك ! . وقال سلمة بن كهيل : ما رأيت أحداً أراد بهذا العلم وجه الله تعالى إلا عطاء وطاووسا ومجاهداً . وقال الأعمش: كنتُ إذا =

« لا يشركون بى شيئاً »[١] قال : لا يحبون غيرى .

وفى صحيح الحاكم[٢] عن عائشة [٣] رضى الله عنها عن النبى ﷺ

= رأيت مجاهدا تراه مغموماً ؛ فقيل له فى ذلك فقال : أخذ عبد الله يعنى ابن عمر بيدى ثم قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى وقال لى : « يا عبد الله كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل » . ومن كلام مجاهد : لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً . ويقول : ليس أحد إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبى صلى الله عليه وسلم . ويقول : يؤمر بالعبد إلى النار فيقول : يارب ، ما كان هذا ظنى بك ، وأنت أعلم ؛ فيقول الله عز وجل وهو أعلم : ما كان ظنك بى ؟ . فيقول : أن تغفر لى فيقول الله تعالى : خلوا سبيله . وكان يقول : ليكن آخر كلام أحدكم عند منامه « لا إله إلا الله » فأنها وفاة لايدرى لعلها تكون منية . مات رضى الله عنه بمكة وهو ساجد ، سنة ثلاث ومائة كما فى الشذرات . وفى الطبقات : سنة ثنتين ومائة ، وعمره كما فيهما ثلاث وثمانون سنة .

(١) سورة النور ، آية ٥٥ — والآية بتمامها : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لايشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون » .

(٢) هو الامام الحاكم أبو عبد الله النيسابورى البيهقى المتوفى سنة خمس وأربعمائة ، وقد قال عنه ابن خلدون : «وقد ألف الناس فى علوم الحديث وأكثروا ومن فحول علمائه وأئمته أبو عبد الله الحاكم ، وتآليفه فيه مشهورة ، وهو الذى هذبه ، وأظهر محاسنه » .

(٣) هى أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، الحميراء حبيبة الرسول ، التقية النقية ، المبرأة من فوق سبع سموات ، المخلدة طهارتها وبراءتها فى التنزيل : عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، وحسبها شرفاً حب الرسول لها =

قال : الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب الذرّة على الصفا فى الليلة الظلما ، وأدناه أن تحب على شيء من العدل ، وهل الدين إلا الحب والبغض ؟. قال الله عز وجل : «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله»[1] . وهذا نص فى أن محبة ما يكرهه الله و بغض ما يحبه الله متابعةٌ للهوى ، والموالاةُ على ذلك والمعاداة عليه من الشرك الخفى .

وقال الحسن : اعلمْ أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته ! .

=و إظهار سيله إليها. ونزول القرآن فى التنويه بقدرها بعد تبرئتها ، ونزول الوحى فى بيتها والرسول فى لحافها ، ولم يتزوج بكراً سواها . تزوجها بمكة وهى بنت ست، وبنى بها بالمدينة وهى بنت تسع ، وتوفى الرسول وهى بنت ثمان عشرة سنة ، وتوفيت عن خمس وستين سنة ، سنة سبع وخمسين ، وقيل سنة ثمان وخمسين ، وقيل إنه مما روى عن الرسول فى شأنها قوله : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » وفى الحديث كلام، وكانت من أكثر الصحابة حفظاً وفتيا . وكان الكثيرون من أعلام الأمة يرجعون إليها مستشيرين مستفتين . وكانت فقيهة عالمة فصيحة كثيرة الحديث عن الرسول،عارفة بأيام العرب وأشعارها ، زاهدة كثيرة الكرم والصدقة ، روى عنها كثير من الصحابة والتابعين ، وقد عين الواقدى ليلة وفاتها فقال : إنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين ، ودفنت حسب وصيتها بالبقيع ليلا .

(١) سورة آل عمران ، آية ٣١ -- وتمامها : « ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .

سئل ذو النون المصرى[1] : متى أحبُّ ربى ؟. قال : إذا كان ما يبغضه عندك أمرَّ من الصبر ! .

وقال بشر[2] : ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يبغض حبيبُك !.

---

(١) هو الامام الصوفى المشهور أبو الفيض ذو النون ثوبان بن إبراهيم المصرى ، وكان أبوه نوبيا ، وكان رضى الله عنه رجلا نحيفاً تعلوه حمرة ، وليس بأبيض اللحية ، ومن كلامه : يامعشر المريدين ، من أراد منكم الطريق فليلق العلماء بإظهار الجهل ، والزهاد بإظهار الرغبة ، والعارفين بالصمت . وسئل رضى الله عنه عن السفلة من الخلق: من هم ؟ فقال: من لايعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه . وكان يقول : سيأتى على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى على الأكياس . ومناقبه مشهورة وعظاته وكلماته الحكيمة مستفيضة ' وقد توفى سنة خمس وأربعين ومائتين ، ولما توفى رضى الله عنه بالجيزة حمل فى قارب مخافة أن يقع الجسر من كثرة الناس فى جنازته . قيل : ورأى الناس طيورا خضرا ترفرف على جنازته حتى وصلت الى قبره .

(٢) هو الصوفى المعروف أبو نصر بشر بن الحارث الحافى ، أصله من مروو سكن بغداد ، وصحب الفضيل بن عياض ، وكان عالماً و رعاً كبيرالشأن ، أوحد وقته علماً وحالا ، وكان يقول : سيأتى على الناس زمان تكون الدولة فيه للحمقى والأراذل على أهل العقول والأكابر . ويقول : حسبك أقوام تحيا القلوب بذكرهم ، وأن أقواماً أحياء تقسو القلوب برؤيتهم . وسئل : لم لاتتزوج وتخرج عن مخالفة السنة ؟ فأجاب : إنى مشغول بالفرض عن السنة . يعنى بالفرض مجاهدة النفس وتصفيتها من الأخلاق الرديئة . وكان يقول : صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ؛ وإن الله عز وجل لايسأل عبداً قط لم حسنت ظنك بعبادى . وكان فى مرض موته يدعو ربه فيقول : إلهى رفعتنى فوق قدرى ، ونوهت باسمى ، وشهرتنى بين الناس ، فأسألك بوجهك الكريم ألا تفضحنى غداً يوم القيامة . توفى رضى الله عنه ببغداد عاشر المحرم سنة سبع وعشرين ومائتين .

وقال أبو يعقوب النَّهْرَجَوْرِى [1] : كل من ادعى محبة الله ولم يوافق الله َ فى أمره فدعواه باطلة .

وقال يحيى بن معاذ[2] : ليس بصادق من ادعى محبـة الله ولم يحفظ حدوده .

---

(١) هو أبو يعقوب إسحق بن محمد النهرجورى ، أقام مجاوراً بالحرم سنين كثيرة ، وصحب الجنيد ، وعمرو بن عثمان المكى، وأبا يعقوب السوسى وغيرهم وكان يقول فى معنى قولهم (احترسوا من الناس بسوء الظن) : أى سوء الظن بأنفسكم لا بالناس ! . وكان يقول : طلب أهلُ الله الحقائق فسادوا الخلائق . وسئل عن الطريق إلى الله فقال للسائل : اجتنب الجهلاء، واصحب العلماء ، واستعمل العلم ، وداوم الذكر ، وأنت إذا من أهل الطريق . توفى سنة ثلاثين وثلاثمائة ، رضى الله عنه .

(٢) هو الامام الصوفى أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الواعظ الرازى ، كان أوحد وقته فى زمانه ، وله لسان وكلام فى المعرفة ، أقام ببلخ مدة ثم عاد إلى نيسابور . ومن كلامه : كيف يكون زاهدا من لا ورع له ، تورع عما ليس لك ، ثم ازهد فيما لك . ويقول : لايزال دين العبد متمزقاً مادام قلبه بحب الدنيا متعلقاً . ويقول : بئس الأخ أخ تحتاج أن تقول له : ادع لى ؛ وبئس الأخ أخ تحتاج أن تعتذر إليه عند زلتك . ويقول : إياكم والركون إلى دار الدنيا فانها دار ممر لادار مقر، الزاد منها والمقيل فى غيرها . ويقول: طلب الزهد فراراً من مشقة الأعمال الشاقة بطالة ، ولبس الصوف من غير إماتة النفس جهالة ، وترك المكاسب مع الحاجة إليها كسل ، والكسل مع وجود الاستغناء عنه كلفة ، والصبر على العزلة علامة وجود الطريق ، والتعبد مع تضييع العيال جهل !. توفى بنيسابور سنة ثمان وخمسين ومائتين . رضى الله عنه .

وقال رويم [1] : المحبة الموافقة فى جميع الأحوال ، وأنشد يقول :

ولو قال لى : مت، متُّ سمعاً وطاعة وقلت لداعى الموت أهلا ومرحباً [2]

ويشهد لهـذا المعنى قوله تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » [3] .

وقال الحسن : قال أصحـاب رسول الله ﷺ : إنا نحب ربنا حباً شديداً ؛ فأحبَّ الله أن يجعل لحبه علماً فأنزل هذه الآية .

ومن هنـا يُعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ، فإذا علم أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه ، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه ويكرهه إلا باتباع ما أمر به ، واجتناب مانهى

---

(١) هو أبو محمد رويم بن أحمد ، بغدادى الأصل ، من جملة مشايخ بغداد، وكان فقيهاً على مذهب داود الأصفهانى ؛ ومن كلامه : من حكمة الحكيم أن يوسع على إخوانه فى الأحكام ، ويضيق على نفسه فيها ، فان التوسعة عليهم اتباع للعلم ، والتضييق على نفسه من حكم الورع ! . ويقول : من قعد مع القوم (يعنى الصوفية) وخالفهم فى شىء مما يتحققون به نزع الله نور الايمان من قلبه . وتوفى سنة ثلاث وثلاثمائة ، ودفن بالشونيزية فى بغداد ، رضى الله عنه .

(٢) الذى فى كتاب الطبقات للشعرانى نصه : « وسئل رضى الله عنه عن المحبة ، فقال : هى الموافقة فى جميع الأحوال ، وأنشد :

ولو قيل لى : متْ ، قلت : سمعاً وطاعة وقلت لداعى الموت: أهلا ومرحباً »

(٣) سورة آل عمران ، آية ٣١ — وتمامها : « ويغفرلكم ذنوبكم والله غفور رحيم » .

عنه ، فصارت محبته مستلزِمة لمحبة رسوله ﷺ وتصديقهِ ومتابعته ، ولهذا قَرَنَ الله محبته ومحبةَ رسوله ﷺ فى قوله تعالى : « قُل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم » إلى قوله : « أحبَّ إليكم من الله ورسوله »(١). كما قرن طاعته وطاعة رسوله ﷺ فى مواضع كثيرة (٢) .

وقال ﷺ : ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحب الرجلَ لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى فى النار .

وهذه حال السحرة لما سكنت المحبة فى قلوبهم سمحوا ببذل نفوسهم وقالوا لفرعون: اقض ما أنت قاض!. ومتى تمكنت المحبة من القلب لم تنبعث الجوارح إلا إلى طاعة الرب ، وهذا هو معنى الحديث الإلهى الذى خرّجه البخارى فى صحيحه ، وفيه : لا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به ، و يده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها . وفى بعض الروايات : فبى يسمع و بى يبصر . والمعنى أن محبة الله إذا استغرق بها القلب واستولت عليه لم تنبعث

---

(١) سورة التوبة ، آية ٢٤ — والآية بتمامها : « قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله و رسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين » .

(٢) مثل قوله تعالى: «قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول» سورة النور، آية ٥٤ .

الجوارح إلا إلى رضا الرب ، وصارت النفس حينئذ مطمئنة بإرادة مولاها عن مرادها وهواها .

ياهذا ! اعبد الله لمراده منك لا لمرادك منه ، فمن عبده لمراده منه فهو ممن يعبده على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، و إن أصابته فتنة انقلب على وجهه ، خسر الدنيا والآخرة ؛ ومتى قويت المحبة والمعرفة لم يُرِدْ صاحبها إلا ما يريد مولاه .

وفى بعض الكتب السابقة : من أحبَّ اللهَ لم يكن شىء عنده آثرَ من رضاه ، ومن أحب الدنيا لم يكن شىء عنده آثر من هوى نفسه .

وروى ابن أبى الدنيا [1] بإسناده عن الحسن قال : ما نظرت ببصرى، ولا نطقت بلسانى ، ولا بطشت بيدى ، ولا نهضت على قدمى ، حتى أنظر على طاعة الله أو على معصيته ، فإن كان على طاعةٍ تقدمتُ ، و إن كان على معصيةٍ تأخرت .

هذا حال خَوَاصِّ المحبين الصادقين ، فافهموا رَحمكم الله هَـذا ، فإنه من أسرار التوحيد الغامِضة . و إلى هذا المقام أشار النبى ﷺ فى خطبته حين قدم المدينة حيث قال : أحِبُّوا الله من كل قلوبكم . وقد ذكرها ابن

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبيدة (بالفتح) ابن أبىالدنيا البغدادى الحافظ صاحب التصانيف ، قال عنه أبو حاتم إنه صدوق ، وتوفى سنة إحدى وثمانين ومائتين .

إسحاق[1] وغيره . فمن امتلأ قلبه من محبة الله لم يكن فيه فراغ لشيء من إرادات النفس والهوى ؛ و إلى ذلك أشار القائل بقوله :

أروح وقد ختمتَ على فؤادى ... بحبك أنْ يحل به سواكا
فلو أنى استطعت غضضت طرفى ... فلم أنظر به حتى أراكا !
أحبك لا ببعضى بل بكلى ... و إن لم يُبق حبُّك لى حراكا
وفى الأحباب مخصوص بوجد ... وآخر يدَّعى فيك اشتراكا
إذا اشتبكت دموع فى خدود ... تبين من بكا ممن تباكى !

متى بقى للمحب حظ من نفسه فما بيده من المحبة إلا الدعوى ؛ إنما المحب من يفنى عن هوى نفسه كله ، و يبقى بحبيبه ؛ فبى يسمع وبى يبصر .

القلب بيت الرب :

وفى الإسرائيليات[2] يقول الله : ما وسعنى سمائى ولا أرضى ، ووسعنى

---

(١) هو أحد الأئمة الأعلام ، لاسيما فى المغازى والسير ، محمد بن إسحق ابن يسار المطلبى المدنى ، صاحب السيرة المعروفة باسمه، وكان بحراً من بحور العلم ذكياً حافظاً طلابة للعلم أخبارياً نسابة علامة، قال فيه ابن حنبل: هو حسن الحديث . ومن كتب ابن إسحاق أخذ ابن هشام ، وكل من تكلم فى السيرة فعليه اعتماده . وعن ابن شهاب قال : لايزال بالمدينة علم جم ماكان فيها ابن إسحاق . توفى ببغداد ، ودفن فى مقبرة الخيزران أم الرشيد ، نسبت المقبرة إليها لأنها أول من دفن فيها . وكانت وفاة ابن إسحق سنة إحدى وخمسين ومائة .

(٢) الإسرائيليات طائفة من القصص والنصوص التى نقلت عن اليهود وبنى إسرائيل والأحبار ، ومنها الصحيح وهو القليل ، ومنها الدخيل الكاذب وهو فيض ، وقد لاقى التراث الإسلامى مالاقى من هذه الإسرائيليات واختلاطها بمأثور النصوص والسير .

قلب عبدى المؤمن . فمتى كان القلب فيه غير الله فالله أغنى الأغنياء عن الشرك ، وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى . . . الحق غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن فى قلبه سواه ، أو يكنَّ [١] فيه شيء ما يرضاه .

أردنا كُمُ صرْفاً فلما مزجتم ... بعدتم على قدر التفاتِكُمُ عنَّا

وقلنا لكم: لا تُسكِنوا القلبَ غيرَنا ... فأسكنتم الأغيار ؛ ما أنتمُ منا !

لا ينجو غداً إلا من أتى الله بقلب سليم ليس فيه سواه ؛ قال الله تعالى : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » [٢] . وهو الطاهر من أدناس المخالفات ، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدوس [٣] إلا بعد أن يطهر بكير [٤] العذاب ، فإذا زال عنه الخبث صلح حينئذ للمجاورة . إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً . فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر . « سلام عليكم بما صبرتم

---

(١) الصواب : يكون

(٢) سورة الشعراء ، آيتا ٨٨ ، ٨٩

(٣) القدوس : القدس بالضم وبضمتين الطهر ، والقدوس اسم من أسماء الله بضم القاف وفتحها ، أى الطاهر أو المبارك . والتقديس التطهير ، ومنه الأرض المقدسة وبيت المقدس ؛ وتقدس تطهر ، والقادسية قرية قرب الكوفة ، يقال إن إبراهيم عليه السلام مر بها فوجد فيها عجوزاً فغسلت رأسه فقال : قُدِّسْتِ من أرض . فسميت بالقادسية ، ودعا لها أن تكون محلة الحاج . و روح القدس جبريل عليه السلام .

(٤) الكير بكسر الكاف : زق ينفخ فيه الحداد ، وأما المبنى من الطين فاسمه : كور .

فنعم عقبى الدار[1] » . «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »[2] . « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون»[3] .

من لم يُحْرِقْ اليوم قلبَه بنار الأسف على ما سلف ، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب ، فنار جهنم أشد حرًّا .

ما يحتاج إلى تطهُّرٍ بنـار جهنم إلا من لم يُـكْمل تحقيق التوحيد والقيامَ بحقوقه .

أول من تُسْعَر به النار من الموحدين المراءون بأعمالهم ، وأولهم العالم والمتصدق والمجاهد[4] للرياء ، لأن الرياء شرك .

ما تظاهر المرائى إلى الخلق بعمله إلا بجهله بعظمة الخالق .

المرائى يزوّر التواقيع على اسم الملك ليأخـذ البراطيل[5] لنفسه ، ويوهمهم أنه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالـكلية .

---

(١) سورة الرعد ، آية ٢٤ .

(٢) سورة الزمر ، آية ٧٣ — والآية بتمامها : « وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » .

(٣) سورة النحل ، آية ٣٢ .

(٤) الجار والمجرور متعلق بكل ماذكر ، أى العالم الذى تعلم للرياء ، والمتصدق الذى تصدق للرياء ، والمجاهد الذى جاهد للرياء . . . وفى العبارة نوع من اللبس كما ترى .

(٥) البرطيل بكسر الباء الرشوة ، جمعه براطيل ؛ وبرطل فلان فلاناً أى رشاه ، فتبرطل أى ارتشى .

نَقَش المرائي على الدرهم الزايف اسم الملك ليروج ، والبهرج[1] لا يجوز إلا على غير الناقد .

بعد أهل الرياء يدخل النار أهلُ الشهوات ، وعبيد الهوى الذين أطاعوا هواهم ، وعصوا مولاهم؛ فأما عبيد الله حقاً فيقال لهم : « يا أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي ، وادخلي جنتي »[2] .

جهنم تنطفيء بنور إيمان الموحدين .

وفي الحديث : تقول النار : جزْ يامؤمن فقد أطفا[3] نورُك لهبي .

وفي المسند عن جابر[4] رضي الله عنه عن النبي ﷺ : لا يبقى بر ولا

---

(١) البَهرج : الباطل ، والرديء ، وهذا هو المناسب هنا ، والبَهرجة أن يُعدل بالشيء عن طريقه المستقيم إلى غيرها ، والمُبَهْرَجُ من المياه المُهْمَل الذي لا يُمْنَع عنه بل يَرِدُه كل من هب ودب ، والمبهرج من الدماء المهدر ، وقول أبي محجن لسعد بن أبي وقاص: بهرجتني؛ أي أهدرتني بإسقاط الحد عني .

(٢) سورة الفجر ، آيات ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ .

(٣) أطفا : مسهلة من أطفأ .

(٤) هو الصحابي الجليل أبو عبد الله أو أبو محمد أو أبو عبد الرحمن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السَّلَمي الأنصاري المدني ، صحابي مشهور ، روى أحاديث كثيرة ، وهوممن شهد العقبة ، وغزا تسع عشرة غزوة . قال جابر: استغفر لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة البعير خمساً وعشرين مرة . وهو آخر من مات من أهل العقبة ، وهو من أهل بيعة الرضوان ، وأهل السوابق والسبق في الإسلام ، وكان كثير العلم ، ومناقبه عديدة ؛ توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة ثمان وسبعين ، وعمره أربع وسبعون سنة ؛ وفي الشذرات أن عمره أربع وتسعون سنة .

فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم[1].

حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم .

هذا ميراث وَرِثه المحبون من حال الخليل عليه السلام .

نار المحبة فى قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم .

قال الجنيد[2] رحمه الله : قالت النار : يارب لو لم أطعك هل كنتَ

---

(١) يشير إلى قوله تعالى فى سورة الأنبياء : « قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين، قلنا يانار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ، وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين » . والقصة مشهورة فى كتب التفسير والتاريخ .

(٢) هو سيد طائفة الصوفية وشيخهم تاج العارفين أبو القاسم الجنيد ابن محمد الزجاج القواريرى ، كان أبوه يبيع الزجاج ، فلذلك يقال له القواريرى أصله من نهاوند ، وولد ونشأ بالعراق ، وكان فقيهاً يفتى الناس على مذهب أبى ثور صاحب الإمام الشافعى وراوى مذهبه القديم ؛ وصحب الجنيد خاله السرى السقطى والحارث المحاسبى ومحمد بن على القصاب ؛ وكان من كبار أئمة القوم وساداتهم ، وكلامه مقبول على جميع الألسنة ؛ وحج على قدميه ثلاثين حجة ومن كلامه : إن الله يخلص إلى القلوب من بره على حسب ما تخلص إليه القلوب من ذكره ، فانظر ماذا خالط قلبك ! . ومنه : الغفلة عن الله تعالى أشد من دخول النار . وسئل عن المعرفة بالله أهى كسب أم ضرورة ، فقال رضى الله عنه : رأيت الأشياء تدرك بشيئين ، فما كان منها حاضراً فبالحس ، وما كان منها غائباً فبالدليل ، ولما كان الحق تعالى غير باد لحواسنا كانت معرفته بالدليل والفحص ، إذ كنا لانعلم الغيب والغائب إلا بالدليل ، ولا نعلم الحاضر إلا بالحس . وكان يقول : من فتح على نفسه باب نية حسنة فتح الله عليه سبعين باباً من التوفيق ، ومن فتح على نفسه باب نية سيئة فتح الله عليه سبعين باباً من الخذلان من حيث لايشعر ! . وكان يقول : إن للعلم ثمناً فلا تعطوه حتى تأخذوا ثمنه . قيل له :وما ثمنه ؟ قال: وضعه عند من يحسن حمله ولا يضيعه... وقال بعض من حضر وفاته : كنت واقفاً على رأس الجنيد =

تعذبنى بشىء أشد منى ؟ . قال : أسلط عليك نارى الكبرى قالت : وهل نار أعظم وأشد منى ؟ قال : نعم ، نار محبتى أسكنتها قلوبَ أوليائى المؤمنين .

قفا قليلاً بها علىَّ ، فلا أقلَّ من نظرة أُردِّدُها

فلولا دموع المحبين تطفىء بعض حرارة الوجد لاحترقوا كمداً .

دعوه يطفى بالدموع حرارة على كبدٍ حَرَّى ، دَعُوه ، دعوه !

سَلُوا عاذليه يعذروه هنيهة فبالعذل دون الشوق قد قتلوه !

كان بعض العارفين ، يقول : أليس عجباً أن أكون بين أظهركم وفى قلبى من الاشتياق إلى ربى مثل الشُّعَلِ التى لا تنطفىء ؟! ..

ولم أر مثلَ نارِ الحب نارا تزيد ببعد مُوقِدِها اتقادا

= وقت وفاته ، وكان يوم جمعة ، وهو يقرأ القرآن ، فقلت له : يا أبا القاسم ارفق بنفسك . فقال : أرأيت أحداً أحوج إليه منى فى هذا الوقت الذى تطوى فيه صحيفتى ؟ . وكان قد ختم القرآن ثم بدأ بالبقرة ، فقرأ سبعين آية ثم مات رحمه الله . وكانت وفاته سنة سبع وتسعين ومائتين ، وقيل سنة ثمان وتسعين ومائتين ، وقبره ببغداد ظاهر يزار . قال الحريرى : وكان فى جوار الجنيد رجل مصاب فى خربة ، فلما مات الجنيد رحمه الله تعالى ودفناه ، و رجعنا من جنازته ، تقدمنا ذلك المصاب فصعد موضعاً عالياً وقال : يا أبا محمد ؛ أترانى أرجع إلى تلك الخربة وقد فقدت ذلك السيد ؟ . ثم أنشد يقول :

وا أسفى من فراق قوم هم المصابيح ، والحصون

والمدن ، والمزن ، والرواسى والخير ، والأمن ، والسكون

لم تتغير لنا الليالى حتى توفتهم المنون

فكل جمر لنا قلوب وكل ماء لنا عيون ! !

قال : ثم غاب عنا فكان ذلك آخر العهد به ، رضى الله عنه .

ما للعارفين شغل بغير مولاهم ، ولا هَمٌّ فى غيره .

وفى الحديث : من أصبح وهَمُّهُ غير الله فليس من الله .

قال بعضهم : من أخبرك أن وليه له هَمٌّ فى غيره فلا تصدقه .

وكان داود الطائى[1] يقول : همك عطّلَ علىَّ الهموم ، وحالفَ بينى و بين السهاد ، وشوقى إلى النظر إليك أو بق[2] منى اللذات ، وحال بينى و بين الشهوات ، فأنا فى سجنك أيها الكريم مطلوب . .

مالى شغل سواه ، مالى شغلُ ما يصرف عن هواه قلبى شغلُ
ما أصنع إن جفا وخاب الأمل ؟ منى بدل ومنه ما لى بدلُ !

إخوانى : إذا فهمتم هذا المعنى فهمتم معنى قوله ﷺ : من شهد أن لا إله إلا الله صادقاً من قلبه حرّمه الله على النار . أما من دخل النار من أهل

---

(١) هو العالم الربانى الزاهد أحد الأعلام أبو سليمان داود بن نصير الطائى الكوفى ، الذى قال فيه ابن المبارك : هل الأمر إلا ما كان عليه داود ؟ . وقد كان رضى الله عنه كبير الشأن فى باب الزهد والورع ، حتى إنهم دخلوا عليه فى مرض موته فلم يجدوا فى بيته شيئاً غير دن صغير فيه خبز يابس ومطهرة ولبنة كبيرة من التراب هى مخدته ! . وقيل له مرة : دلنا على رجل نجلس إليه فنربح . فقال رضى الله عنه : تلك ضالة لاتوجد ! . ومكث أربعاً وستين سنة أعزب ، فقيل له : كيف صبرت عن النساء ؟ . قال : قاسيت شهوتهن عند إدراكى (أى بلوغى) سنة ، ثم ذهبت شهوتهن من قلبى . وكان لايسأل الله الجنة حياء منه ويقول : وددت أن أنجو من النار فأصير رماداً . توفى رضى الله عنه سنة ستين ومائة ، وقيل سنة خمس وستين ومائة .

(٢) أو بق منى اللذات : أى حبسها أو أهلكها .

هذه الـكلمة فلقلة صدقه بها ؛ فإن هذه الـكلمة إذا صدقت طهّرت القلب من كل ما سوى الله ، ومتى بقى فى القلب أثر سـوى الله فمن قلة الصدق فى قولها .

من صَدَق فى قول لا إله إلا الله لم يحبَّ سواه ، ولم يرج سواه ، ولم يخش أحداً إلا الله ، ولم يتوكل إلا على الله ، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه ، ومع هذا فلا تظنون أن المحب مطالب بالعصمة ، و إنما هو مطالب كلما زَلَّ أن يتلافى تلك الزلة .

قال زيد بن أسلم(١) : إن الله ليحبُّ العبدَ حتى يبلغ من حبه أن يقول : اعمل ما شئت فقد غفرت لك(٢) .

---

(١) هو أحد الأعلام الإمام الفقيه العلامة العابد أبو عبد الرحمن ، وقيل أبو أسامة ، زيد بن أسلم العدوى ، روى عن ابن عمر وسلمة بن الأكوع وأنس وأضرابهم ، وله تفسير القرآن يرويه عنه ابنه عبد الرحمن . قال مالك : كان زيد يحدثنا من تلقاء نفسه فإذا قام فلا يجترىء عليه أحد . وكانت له حلقة للفتوى والعلم بالمدينة ، قال أبو حازم الأعرج : لقد رأيتنا فى حلقة زيد بن أسلم أربعين فقيهاً أدنى خصلة فينا التواصى بما فى أيدينا . ونقل البخارى أن زين العابدين بن على بن الحسين كان يجلس إلى زيد بن أسلم . توفى رضى الله عنه فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة .

(٢) إنما أحب الله عبده هذا الحب لإقبال العبد عليه بكليته وفنائه فى عبوديته ، فلو أطلق له السراح ، وتُرِكَ والمباح ، لما فعل إلا مايحبه الله ، وهذا يذكرنا بصفوة الصحابة من أهل بدر الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال لهم : اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » .

وقال الشعبى[1] : إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب . وتفسير هـذا الكلام أن الله عز وجل له عناية فيمن يحبه ، فـكلما زلق العبد فى هوة الهوى أخذ بيده إلى النجا ، ييسر له التوبة ، وينبهه على قبح الزلة ، فيفزع إلى الاعتذار ، ويبتليه بمصائب مكفرة لمـا جنى .

وفى بعض الآثار : يقول الله تعالى : أهل ذكرى أهل مجالستى ، وأهل طاعتى أهل كرامتى ، وأهل معصيتى لا آيسهم من رحمتى ؛ إن تابوا فأنا

---

(٣) هو الإمام الحبر العلامة العلم أبو عمرو عامر بن شراحيل بن معبد الشعبى الكوفى الحميدى ، ولد لست سنين مضت من خلافة عثمان ، وكانت أمه من سبى جلولاء ، وكان نحيفاً ضئيلا ، وقيل له : مالنا نراك ضئيلا ؟ قال : إنى زوحمت فى الرحم ؛ وكان ولد هو وأخ له فى بطن واحد . وكان مزاحاً ، قال لخياط مر به : عندنا حب مكسور تخيطه ؟ فأجابه الخياط : نعم إن كان عندك خيط من ريح ! . وروى أن رجلا دخل عليه ومعه فى البيت امرأته، فقال الرجل : أيكما الشعبى؟ فأشار الشعبى إلى المرأة وقال للرجل : هذه ! ! .. وقال له أبو بكر الهذلى : تحب الشعر ؟ فقال : إنما يحبه فحول الرجال ، ويكرهه مؤنثوهم ! . ومن كلامه : إنما الفقيه من تورع عن محارم الله ، والعالم من خاف الله تعالى . وقال : تعايش الناس بالدين زمناً طويلا حتى ذهب الدين ، ثم تعايشوا بالمروءة زمناً طويلا حتى ذهبت المروءة ، ثم تعايشوا بالحياء زمناً طويلا حتى ذهب الحياء ، ثم تعايشوا بالرغبة والرهبة (أى بالطمع والخوف) وسيأتى بعد ذلك ما هو أشد منه . ومر رضى الله عنه برجل يغتابه فقال :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامـــر لعزة من أعراضنا ما استحلت

توفى رضى الله عنه فجاءة بالكوفة سنة أربع ومائة ، وقيل قبلها ، وقيل بعدها وهو ابن سبع وتسعين سنة .

حبيبهم ، و إن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ؛ أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعاصى .

وفى صحيح مسلم عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : الحمى تُذهِبُ الخطايا كما يذهب الكيرُ خَبَثَ الحديد .

وفى المسند وصحيح ابن حبان[1] عن عبد الله بن معقل أن رجلا لقى امرأة بَغِيًّا فى الجاهلية ، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها ، فقالت: مه[2] فإن الله قد أذهب الشركَ وجاء بالإسلام ؛ فتركها وولَّى ، فجعل يلتفت إليها حتى أصيب وجهه[3] ، فأتى إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره بالأمر فقال النبى ﷺ : أنت عبد أراد الله بك خيراً . ثم قال : إن الله إذا أراد بعبده شراً أمسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيامة .

ياقوم ! قلوبكم على أصل الطهارة ، و إنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب ، فَرُشُّوا عليها قليلاً من دموع العيون وقد طهرت .

اعزموا على فِطام النفوس من رَضاع الهوى ، فالحمية[4] رأس الدوا ؛ حتى إن طالَبَتْكم مألوفاتها فقولوا كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل الذى

---

(١) هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن يحيى بن حَبَّان بن منقذ بن عمرو المازنى المدنى الأنصارى ، كانت له حلقة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ، وتوفى سنة إحدى وعشرين ومائة .

(٢) مه : أى اكفف .

(٣) لعله أصيب بما شوهه أو جرحه أو أسال دمه انتقاماً من الله وتعجيلا له بالتأديب .

(٤) الحمية (بكسر فسكون ففتح) : الامتناع عن الشئ .

دمي وجهه : قد أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام ؛ والإسلام يقتضى الاستسلامَ والانقياد والطاعة .

ذَكَّروها مدحةَ : « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا [1] » لعلها تَحِنُّ إلى الاستقامة .

عرَّفوها اطلاعَ من هو أقرب من حبـل الوريد[2] لعلها تستحى من قربه ونظره : « ألم يعلم بأن الله يرى[3] » ، « إن ربك لبالمرصاد[4] ».

رَاوَدَ رجل امرأةً فى فلاة ليلاً فأبت، فقال لها : ما يرانا إلا الـكواكب قالت : أين مُـكَوْ كِبُها ! [5] .

أُكْرِهَ رجلٌ امرأةً على نفسها ، وأمرها بغلق[6] الأبواب ، فقال لها : هل بقى باب لم تغلقيه ؟ . قالت : نعم ، الذى بيننـا وبين الله ؛ فتركها ولم يتعرض لهـا .

رأى بعض الصالحين رجلاً يكلِّم امرأة فقال : إن الله يراكما ، سترنا الله وإياكما ! .

(١) سورة فصلت ، آية ٣٠ — وتمامها : « تتنزل عليهم الملائكة أن لاتخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون » .

(٢) الوريد : عرق فى العنق .

(٣) سورة العلق ، آية ١٤ .

(٤) سورة الفجر ، آية ١٤ .

(٥) مكوكبها : أى خالقها وصانعها .

(٦) الصواب : إغلاق ، أو تغليق .

سئل الجنيد رحمه الله تعالى: بما [1] يستعان به على غض البصر؟.

قال: بعلمك أنَّ نَظَرَ الله إليك أسبقُ من نظرك إلى من تنظره.

وقال المحاسبي [2]: المراقبة علم القلب بقرب الرب... كلما قويت المعرفة بالله قوى الحياء.

---

(١) لعل الصواب هو: عما.

(٢) هو الزاهد الناطق بالحكمة أبو عبد الله الحارث بن أسيد المحاسبي، أحد شيوخ الجنيد، وصاحب المصنفات في الأحوال والتصوف، وهو من أعرف علماء مشايخ الصوفية بعلوم الظاهر وعلوم الأصول وعلوم المعاملات، وهو عديم النظير في زمانه، وأستاذ أكثر البغداديين، وهو بصري الأصل، وله مؤلفات نفيسة في السلوك والأصول، ولم يأخذ من ميراث أبيه شيئاً لأن أباه كان قدرياً. ومن كلامه: فقدنا ثلاثة أشياء: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء مع الوفاء؛. وأنشدوا بين يديه مرة:

أنا في الغربة أبكى ما بكت عين غريب
لم أكن يوم خروجي من مكاني بمصيب
عجباً لى ولتركى وطناً فيه حبيبي!

فقام وتواجد حتى رق له كل من حضره. وقيل لأحمد بن حنبل رضى الله عنه: إن الحارث المحاسبي يتكلم في علوم الصوفية، ويحتج لها بالآى والحديث، فهل لك أن تسمع كلامه من حيث لايشعر؟. فقال: نعم. فحضر معه ليلة إلى الصباح، ولم ينكر من أحواله ولا من أحوال أصحابه شيئاً؛ قال: لأنى رأيتهم لما أذن بالمغرب تقدم فصلى، ثم حضر الطعام فجعل يحدث أصحابه وهو يأكل، وهذا من السنة، فلما فرغوا من الطعام وغسلوا أيديهم جلس وجلس أصحابه بين يديه، وقال: من أراد منكم أن يسأل عن شئ فليسأل؛ فسألوه عن الرياء والإخلاص وعن مسائل كثيرة فأجاب عنها، واستشهد عليها بالآى والحديث؛ فلما مر جانب من الليل أمر الحارث قارئاً يقرأ، فقرأ فبكوا وصاحوا وانتحبوا، ثم سكت القارئ، فدعا الحارث بدعوات خفاف، ثم قام إلى الصلاة =

أوصى النبي ﷺ رجلا أن يستحي من الله كما يستحي من رجلين صالحين من عشيرته لا يفارقانه . قال بعضهم : استح من الله على قدر قربه منك ، وخف من الله على قدر قدرته عليك . كان بعضهم يقول : منذ أربعين سنة لم أخط خطوة لغير الله ، ولا نظرت إلى شيء أستحسنه حياء من الله :

كأن رقيباً منك يرعى خواطرى — وآخر يرعى ناظرى ولسانى
فما أبصرتْ عيناى بعدك منظرا — لغيرك إلا قلت قد رَمَقَانى
ولا بدرت من فىّ بعدك لفظة — لغيرك إلا قلت قد سمعانى
ولا خطرت من ذكر غيرك خطرة — على القلب إلا عَرَّجاَ بعنانى

فصل

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن هاهنا استقصاؤها ؛ فلنذكر بعضَ ما ورد فيها ؛ فهى كلمة التقوى كما قال عمر رضى الله عنه وغيره ، وهى كلمة الإخلاص ، وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك ، ونجاة هذا الأمر ، ولأجلها خُلق الخلق ، كما قال تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون »(١) . وقال تعالى :

= فلما أصبح الصباح اعترف أحمد بن حنبل رضى الله عنه بفضله، وقال : كنت أسمع عن الصوفية خلاف هذا أستغفر الله العظيم . مات رضى الله عنه ببغداد سنة ثلاث وأربعين ومائتين .

(١) سورة الأنبياء ، آية ٢٥ .

« ينزِّل الملٰئكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون » (١). وهذه الآية أول ما عدَّد الله من النعم فى سورة النحل التى تسمى آية النعم ، ولهذا قال ابن عيينة(٢) : ما أنعم الله على عبد من العباد نعمةً أفضلَ من أن عَرَّفه لا إله إلا الله ؛ وإن « لا إله إلا الله » لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ، ولأجلها أُعدت دارُ الثواب ودار العقاب ، ولأجلها أُمرت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم مالَه ودَمه ، ومن أباها فمالُه ودمه حلال ، وهى مفتاح الجنة ، ومفتاح دعوة الرسل ، وبها كلم الله موسى كفاحاً (٣) .

---

(١) سورة النحل ، آية ٢ .

(٢) هو أحد الأعلام شيخ الحجاز محدث الحرم الإمام العلم أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالى الكوفى الحافظ نزيل مكة ، ولد رضى الله عنه فى الكوفة سنة سبع ومائة وسكن مكة ، وحفظ القرآن وهو ابن سنوات قليلة ، وكتب الحديث بعد ذلك وهو ابن سبع ، ولم تكن له كتب ، وقال الشافعى : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم الحجاز . وقال ابن وهب : لاأعلم أحداً أعلم بالتفسير من ابن عيينة . وحج سبعين حجة . وقال عنه الشافعى : مارأيت أحداً فيه من الفتيا ما فيه ، ولا أكف عن الفتيا منه . وتوفى رضى الله عنه بمكة فى أول رجب سنة ثمان وتسعين ومائة ، ودفن بالحجون ، وهو ابن إحدى وتسعين سنة .

(٣) كفاحا : أى مواجهة .

وفى مسند البزار[١] وغيره عن عياض الأنصارى[٢] عن النبى ﷺ

---

(١) هناك الامام أبو على الحسن بن الصباح البزار، سمع سفيان بن عيينة وأبا معاوية وطبقتهما، وكان أحمد بن حنبل يرفع قدره ويجله ويحترمه، وروى عنه البخارى وقال أبو حاتم: صدوق. كانت له جلالة عجيبة، توفى رحمه الله ببغداد سنة تسع وأربعين ومائتين.

وهناك أيضاً أبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادى البزار، كان فقيهاً عالماً بالقرآن، وكان يتكلم ببغداد فى مسجد الرصافة قبل كلامه فى مسجد المدينة؛ تكلم يوماً فى مسجد المدينة فتغير عليه حاله وسقط عن كرسيه ومات فى الجمعة الثانية، وكان الامام أحمد إذا جرى فى مجلسه شىء من كلام الصوفية يقول لأبى حمزة: ما تقول فى هذا ياصوفى؟. ودخل البصرة مراراً وصحب بشراً الحافى، ومات سنة تسع وثمانين ومائتين. ومن كلامه: إذا فتح الله عليك طريقاً من طرق الخير فالزمه، وإياك أن تنظر إليه، أو تفتخر به، واشتغل بشكر من وفقك لذلك، فان نظرك إليه يسقطك من مقامك، واشتغالك بالشكر يوجب لك فيه المزيد؛ قال تعالى: لئن شكرتم لأزيدنكم. وروى أنه كان حسن الكلام، فهتف به هاتف: تكلمت فأحسنت، بقى عليك أن تسكت فتحسن!. فما تكلم بعد ذلك حتى مات!.

وهناك الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصرى، صاحب المسند الكبير، (وهو المقصود لابن رجب هنا)، روى عن هدبة بن خالد وأقرانه، وحدث فى آخر عمره بأصبهان والعراق والشام، وفى توثيقه خلاف. توفى فى ربيع الأول بالرملة سنة ثنتين وتسعين ومائتين.

(فائدة): جاء فى شذرات الذهب ما نصه: «والبزار بالراء آخره لعله منسوب إلى بيع البزر». وفى التاريخ جماعة كبيرة ممن لقبوا بلقب «البزار» منهم المشهور ومنهم المغمور.

(٢) لم نجد له ترجمة فيما بين أيدينا من مصادر.

قال : إن لا إله إلا الله كلمة حق على كريم ، ولها من الله مكان ، وهي كلمة جمعت وشركت ، فمن قالها صادقاً أدخله الله الجنة، ومن قالها كاذباً أحرزت ماله ، وحقنت دمه ، ولقي الله فيحاسبه .

وهي ثمن الجنة[1] :

قال الحسين وجابر مرفوعاً من وجوه ضعيفة : ومن كانت آخرَ كلامه دخل الجنة .

وهي نجاة من النار :

وسمع النبي ﷺ مؤذناً يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فقال : خرجتَ من النار . خرّجه مسلم .

وهي توجب المغفرة :

وفي المسند[2] عن شدّاد بن أوس[3] وعبادة بن الصامت رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال لأصحابه : ارفعوا أيديكم وقولوا : « لا إله إلا الله ». فرفعنا أيدينا ساعة ، فوضع رسول الله ﷺ يده ، وقال : الحمد لله ، اللهم بعثتني

(١) وإنما تكون ثمن الجنة عند الوفاء بحقها ، والالتزام بحقوقها ، والارتباط بحدودها ، والقيام بواجباتها ، لا بمجرد النطق بها فحسب .

(٢) هو علم على الكتاب الجليل الذى جمع فيه الامام ابن حنبل أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) هو أبو يعلى شداد بن أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصارى النجارى المدنى ، ابن أخي حسان بن ثابت ، قال فيه عبادة بن الصامت : شداد من الذين أوتوا العلم والعمل. توفى سنة ثمان وخمسين ببيت المقدس .

بهذه الـكلمة ، وأمرتنى بها ، ووعدتنى الجنة ، و إنك لا تخلف الميعـاد : ثم قال : أَبشروا فإن الله قد غفر لـكم .

وهى أحسن الحسنات :

قال أبو ذر : قلت : يا رسول الله ! علمنى عمـلاً يقربنى من الجنة ، و يباعدنى من النار . قال : إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فإنها عشر أمثالها . قلت : يا رسول الله ، لا إله إلا الله من الحسـنات . قال : هى أحسن الحسنات .

وهى تمحو الذنوب والخطايا :

وفى سنن ابن ماجه[١] عن أم هانىء[٢] عن النبى ﷺ قال : لا إله إلا الله لا تترك ذنباً ، ولا يسبقها عمل .

رؤى بعضُ السلف بعدَ موته فى المنـام ، فسئل عن حاله ، فقال : ما أبقت لا إله إلا الله شيئاً .

وهى تجدِّد ما دَرَسَ من الإيمان فى القلب :

وفى المسند أن النبى ﷺ قال لأصحابه : جدِّدوا إيمانكم. قالوا : كيف

(١) هو أبو عبد الله محمد بن ماجه القزوينى صاحب السنن فى الحديث ، توفى سنة ثلاث وثمانين ومائتين .

(٢) هى أم هانىءُ بنت عبد المطلب الهاشمية ، إحدى عمات الرسول صلى الله عليه وسلم ، قيل إن اسمها فاختة ، وقيل بل هند ، و روت جملة أحاديث . وأسلمت يوم الفتح .

نجـدد إيماننا ؟ . قال : قولوا : لا إله إلا الله ، وهى التى لا يعـدلها شىء فى الوزن ، فلو وُزِنَتْ بالسموات والأرض لرجحت بهن ، كما فى المسند عن عبد الله بن عمرو (١) رضى الله عنه عن النبى ﷺ : أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا الله ، فإن السموات السبعَ والأرضين السبع لو وضعن فى كفة ووضعت لا إله إلا الله بكفة لرَجَحَت(٢) بهن؛ ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كنّ فى حلقة مبهمة فَصَمَتْهن(٣) لا إله إلا الله .

وفيه أيضاً عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه عن النبى ﷺ :أن موسى عليه السلام قال: يا رب علِّمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال : ياموسى قل : لا إله إلا الله ؛ قال موسى: يارب! كلُّ عبادك يقولون هذا . قال : ياموسى! قل : لا إله إلا الله. قال : لا إله إلا الله ؛ إنما أريد شيئاً تخصنى به . قال :

---

(١) هو الصحابى الفاضل العابد المكثر فى الرواية أبو محمد عبد الله ابن عمرو بن العاص السهمى ، لم يكن بينه وبين أبيه إلا إحدى عشرة سنة ؛ وأسلم قبل أبيه ، وكان يلوم أباه على القيام فى الفتن والقتال بأدب وتؤدة ، ويقول : مالى ولصفين ؛ مالى ولقتال المسلمين ؛ لوددت أنى مت قبلها بعشرين سنة ! . وحلف بالله أنه لم يرم فى حرب صفين برمح ولا سهم ، وإنما حضرها لعزم أبيه عليه ، ولقول الرسول له : « أطع أباك » . توفى رضى الله عنه سنة خمس وستين ، وقيل سنة ثمان وستين .

(٢) أى زادت عليهن .

(٣) أى لو كانت السموات والأرض فى حلقة مغلقة عليهن لامنفذ فيها ، وجاءت كلمة التوحيد بيقينها وسلطانها لحطمت هذه الحلقة .

يا موسى ، لو أن السموات السبع والأرضين السبع وعامرُهن[1] غيرى فى كفة ، ولا إله إلا الله فى كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله ؛ وكذلك ترجح فى صحايف الذنوب كما فى حديث السجلات والبطاقة ، وقد أخرجه أحمد[2]

---

(١) وعامرهن غيرى : أى والمدبر لهن المسيطر عليهن غيرى .

(٢) هو شيخ الأمة وعلم أعلام بغداد وعالم أهل العصر أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الذهلى الشيبانى المروزى ثم البغدادى ، الإمام الفقيه الحافظ الحجة ، ولد سنة أربع وستين ومائة ببغداد ونشأ بها ، وكان أبوه جندياً مات شاباً فى أول طلب ابنه أحمد للعلم فى سنة تسع وسبعين ومائة ، وكان ابن حنبل شيخاً أسمر مديد القامة مخضوباً عليه سكينة ووقار ، وكان إماماً فى الحديث وضروبه ، إماماً فى الفقه ودقائقه ، وهو أحد الأئمة الأربعة الذين لاتزال مذاهبهم مشهورة إلى اليوم، وكان إماماً فى السنة ودقائقها ، إماماً فى الورع وغوامضه ، إماماً فى الزهد وحقائقه . وقد رحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة ؛ وكان يضرب به المثل فى اتباع السنة واجتناب البدعة ، وكان لايدع قيام الليل قط ، وكان يسر ذلك وأمثاله عن الناس ؛ وقال أبو عصمة رضى الله عنه : بت ليلة عند أحمد رضى الله عنه فجاءنى بماء فوضعه ، فلما أصبح نظر إلى الماء كما هو فقال : ياسبحان الله ؛ رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد من الليل ؟ . وكان يلبس الثياب النقية البياض ويتعهد شاربه وشعر بدنه ورأسه ، وكان زاهداً متقشفاً فى طعامه وشرابه وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة ، وحج رضى الله عنه خمس حجات ثلاثاً منها ماشياً ، وابتلى بفتنة القول فى خلق القرآن فصبر واحتمل ، وكان مثلا يروى للجيل بعد الجبل فى الإيمان والثبات والاحتساب . ويقول فيه الشافعى : خرجت من بغداد وما خلفت بها أفقه ولا أورع ولا أزهد من أحمد بن حنبل . وقال إبراهيم الحربى : أدركت ثلاثة لن يرى مثلهم أبداً ، يعجز النساء أن يلدن مثلهم ، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام ، ما أمثله إلا بجبل نفخ فيه روح ، ورأيت بشر بن الحارث ، ما شبهته إلا برجل عجن من قرنه إلى قدمه عقلا، ورأيت أحمد بن حنبل كأن الله عز وجل جمع له علم =

والنسائى (١)

= الأولين من كل صنف ، يقول ماشاء ويمسك ماشاء ؛ وعن الحسن بن العباس قال : قلت لأبى مسهر : هل تعرف أحداً يحفظ على هذه الأمة دينها ؟ . قال : لا أعلم إلا شاباً بالمشرق ؛ يعنى أحمد بن حنبل . وروى عن ابن حنبل أنه قال : إذا جاء الحديث فى فضائل الأعمال وثوابها وترغيبها تساهلنا فى إسناده ، وإذا جاء الحديث فى الحدود والكفارات والفرائض تشددنا فيه . وكان الشافعى يزور ابن حنبل كثيراً فى منزله ، فعوتب الشافعى فى ذلك . فأنشد :

قالوا : يزورك أحمد وتزوره ؛ قلت : الفضائل لاتفارق منزله
إن زارنى فبفضله ، أو زرته فلفضله ، فالفضل فى الحالين له

وكان ابن حنبل يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقانى ؛ ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب ، فنظر إليه وقال : هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده ! . توفى رضى الله عنه ببغداد فى الثانى عشر من ربيع الأول صبيحة الجمعة سنة إحدى وأربعين ومائتين ، وقد تجاوز سبعاً وسبعين سنة ، وشيع جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستون ألفاً ، ومناقبه كثيرة ، وفى سيرته وضعت كتب متعددة .

(١) هو الامام أحد الأعلام أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على ابن سنان بن بحر بن دينار النسائى — نسبة إلى نسا مدينة بخراسان — وهو صاحب المصنفات ، وصاحب السنن فى الحديث ، ولد سنة خمس وعشرين ومائتين ؛ ونشأ ورعاً تقياً حافظاً حجة ، رئيساً نبيلا حسن البزة كبير القدر ، له أربع زوجات يقسم لهن ، ولا يخلو من سرية لفحولته ، ومع ذلك كان يصوم صوم داود ويتهجد ، ورحل إلى الحجاز والشام والعراق ومصر والجزيرة وكان فى الغزو شهماً شجاعاً متحرزاً ، وكان أفقه مشايخ مصر فى عصره وأعلمهم بالحديث ، واستوطن مصر فأقام بزقاق القناديل ، وكان يتشيع ، وقد توفى شهيداً فى ثالث صفر — وقيل فى شعبان — بفلسطين ، وقيل بالرملة ودفن ببيت المقدس وقيل بمكة ؛ وقال الدارقطنى : خرج حاجا فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة ،فقال : احملونى إلى مكة . فحمل وتوفى بها فى شعبان . وهو مدفون بين الصفا والمروة ، رضى الله عنه .

والترمذى(١) أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ

وهى التى تخرق الحُجُبَ حتى تصل إلى الله عز وجل :

وفى الترمذى عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال : (لا إله إلا الله) ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه .

وفيه أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : ما من عبد قال لا إله إلا الله مخلصاً إلا فُتحت لها أبواب السماء حتى تُفضى إلى العرش .

ويروى عن ابن عباس(٢) رضى الله عنهما مرفوعاً : ما من شىء إلا بينه

---

(١) هو الامام الحافظ المبرز أحد الأئمة الأعلام أبو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة بن موسى الضحاك السلمى الترمذى الضرير ، صاحب الجامع والتفسير ، ولد بترمذ سنة مائتين ، والترمذى مثلثة التاء والميم والمشهور فيهما الكسر ، قيل إنه رضى الله عنه ولد أكمه ، وهو تلميذ الامام البخارى ، ومشاركه فيما يرويه فى عدة من مشايخه ، سمع منه شيخه البخارى وغيره ، وكان مبرزاً على الأقران آية فى الحفظ والاتقان ، وتصنيفه متقن ، وبه يضرب المثل ، وهو ممن يقتدى بهم فى علم الحديث ، وتوفى بترمذ سنة تسع وسبعين ومائتين .

(٢) هو البحر الحبر ترجمان القرآن فقيه الأمة ، الصحابى الجليل أبوالعباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمى المكى ، ثم المدنى ، ثم الطائفى ، ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد كنى بأبيه العباس . وهو أكبر ولده ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، وكان جميلا نبيلا أبيض جسيما وسيما صبيح الوجه فصيحاً ، إذا مر فى الطريق قالت النساء : أمرّ المسك أم ابن عباس ؟ . وقال مسروق : كنت إذا رأيت ابن عباس قلت أجمل الناس ، وإذا نطق قلت أفصح الناس ، وإذا حدث قلت أعلم الناس. وكان نبيل =

وبين الله حجاب ، إلا قول لا إله إلا الله ، كما أن شفتيك لا تحجبها وكذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل .

وقال أبو أمامة [1] ما من عبد يهلل تهليلة فينهنهها شيء دون العرش ، وهي التي ينظر الله إلى قائلها ، ويجيب دعواه ، أخرجه النسائي في كتاب اليوم والليلة من حديث رجلين من أصحابه عن النبي ﷺ : من قال لا إله إلا الله

=المجلس مشحوناً بالطلبة في أنواع العلوم، ولا عجب فقد دعا له الرسول فقال : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل » . وفي رواية أنه ضمه وقال : « اللهم علمه الحكمة » وفي رواية أنه مسح ناصيته وقال : « اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب » . وكان مهيباً ربما كان له موكب بالرواية والدراية في حين كان لمعاوية موكب بالولاية ، وقال عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال : بعلم ما سبقه ، وفقه ما احتيج إليه من رأيه ، وحلم ونسب وتأويل ، وما رأيت أحداً كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه،ولا بقضاء أبي بكر وعمر وعثمان منه ، ولا أفقه في رأى منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ، ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أثقب رأياً فيما احتيج إليه منه ، ولقد كان يجلس يوماً للفقه ، ويوماً للتأويل ، ويوماً للمغازي ، ويوماً للشعر ، ويوماً لأيام العرب . اهـ . وكان عمر يستشير ابن عباس ويقول : غواص . وكان عمر أيضاً يقول له : قد طرأت علينا عضل أقضية أنت لها ولأمثالها . وقال سعد : ما رأيت أحضر فهماً ، ولا ألب لباً ، ولا أكثر علماً ، ولا أوسع حلماً من ابن عباس ، ولقد رأيت عمر يدعوه للمعضلات . ومناقبه جمة . توفي رضي الله عنه بالطائف سنة ثمان وستين ، وهو ابن سبعين سنة ، وصلى عليه محمد بن الحنفية رضي الله عنهما .

(١) هو الصحابي الجليل أبو أمامة صدى بن عجلان الباهلي نزيل حمص وقد قال عن نفسه : كنت يوم حجة الوداع ابن ثلاثين سنة ، وقد توفي رضي الله عنه سنة ست وثمانين ، فيكون عمره حينئذ مائة وست سنين ، وذلك لأن حجة الوداع كانت في السنة العاشرة .

وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ؛ مخلصاً بها قلبه ، يصدق بها لسانه ، إلا فتق الله له السماء فتقاً ، حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض ، وحُقَّ لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤاله .

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها ، كما خرّجه النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال، إذا قال العبد : لا إله إلا الله والله أكبر؛ صدّقه ربه ، وقال لا إله إلا أنا وأنا أكبر: وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ؛ قال الله: لا إله إلا أنا وحدي، لا شريك لي . وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ، له الملك وله الحمد ؛ قال الله : لا إله إلا أنا ، لي الملك ، ولي الحمد . وإذا قال العبد : لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله : لا إله إلا أنا ، ولا حول ولا قوة إلا بي .

وكان يقول : من قالها في مرضه ثم مات لم تَطْعَمْهُ النار .

وهي أفضل ما قاله النبيون ، كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة .

وهي أفضل الذكر كما في حديث جابر المرفوع: أفضل الذكر لا إله إلا الله .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما :أحب كلمة إلى الله لا إله إلا الله،لا يقبل الله عملاً إلا بها .

وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفاً(١) ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزاً من الشيطان ، كما في الصحيحين عن أبي هريرة

(١) تضعيفاً : أي تكثيراً للثواب ومضاعفة له . وتعدل : تساوي .

رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : من قال « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحى عنه مائة سيئة ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به ، إلا واحد عمل أكثر من ذلك .

وفيهما أيضاً عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه عن النبى ﷺ : من قالها عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل .

وفى الترمذى عن عمر مرفوعا : من قالها إذا دخل السوق وزاد فيها « يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير » كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة وفى رواية : يبنى له بيتاً فى الجنة .

ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر وهول الحشر ، كما فى المسند وغيره عن النبى ﷺ : ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة فى قبورهم ولا فى نشورهم ، وكأنى بأهل لا إله إلا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ، ويقولون : الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن .

وفى حديث مرسل(١) من قال : « لا إله إلا الله الملك الحق المبين » كل يوم مائة مرة كانت له أماناً من الفقر ، وأنساً من وحشة القبر ، واستجلب به الغنى ، واستقرع به باب الجنة .

(١) المرسل : هو ما سقط منه الصحابى .

وهى شعار المؤمنين إذا قاموا من قبورهم :

قال النظر بن عربى (١) : بلغنى أن الناس إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم : لا إله إلا الله .

وقد خرّج الطبرانى (٢) مرفوعاً : أن شعار هذه الأمة على الصراط لا إله إلا أنت .

ومن فضائلها أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء ، كما فى حديث عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء ، وقد خرجه مسلم .

وفى الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده

---

(١) النظر بن عربى : لم نجد هذا الاسم ، ويغلب على ظننا أنه محرف عن (النضر) . وهو إذن أبو روح أو أبو عمر النضر بن عربى الباهلى الحرانى ، وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم : لابأس به . توفى سنة ثمان وستين ومائة .

(٢) هو الإمام مسند الدنيا الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ابن مطير الطبرانى أحد الأئمة المعروفين والحفّاظ المكثرين والطلاب الرحالين الجوالين ، والمشايخ المعمّرين والمصنفين المحدّثين ، والثقات الأثبات المعدلين ، سمع بالشام والعراق ، وصنف المعجم الكبير فى أسماء الصحابة الكرام ، والأوسط فى غرائب شيوخه ، والصغير فى أسماء شيوخه ، وغير ذلك من الكتب ، و روى عنه الكثيرون . قال ابن العميد : ما كنت أظن فى الدنيا حلاوة ألذ من الرياسة والوزارة التى أنا فيها حتى شاهدت مذاكرة سليمان ابن أحمد الطبرانى . . . وتمنى ابن العميد فى عبارة طويلة له أن يكون فى مكان الطبرانى بدل الوزارة والرياسة . وولد الطبرانى بطَبَرِيّة من بلاد العجم سنة ستين ومائتين وتوفى بأصبهان سنة ستين وثلاثمائة ، فعمره مائة سنة كاملة رضى الله عنه .

ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الساعة آتيـة لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، فُتحت له أبواب الجنـة الثمانية ، يدخل من أيها شاء .

وفى حديث عبد الرحمن بن سمرة[1] رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قصة منامه الطويل ، وفيه قال : رأيت رجلا من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة ، فأغلقت دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب ، وأدخلته الجنة .

ومن فضائلها أن أهلها و إن دخلوا النار بتقصيرهم فى حقوقها فإنهم لا بد أن يخرجوا منها :

وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ : يقول الله : « وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله » .

وخرج الطبرانى عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم ، فيقول لهم أهل اللات

---

(١) هو الصحابى عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس العبشمى من مسلمة الفتح ، وقد افتتح سجستان وكابل أميراً لعبد الله بن عامر ، وهو راوى الحديث الذى رواه الخمسة فى الزهد فى الإمارة ، وهو « عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : قال لى النبى صلى الله عليه وسلم : ياعبدالله ، لاتسأل الإمارة ، فانك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها فكفر عن يمينك وأتِ الذى هو خير » . توفى رضى الله عنـــه سنة خمسين للهجرة .

والعزى (١) : ما أغنى عنكم قولُ لا إله إلا الله ؛ فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار ، ويدخلهم الجنة . ومن أُمِنَ فى سخطه ممسياً فكيف يكون إذًا ما رضى ؟ . لا يسوَّى بين من وحَّد الله وإن قصَّر فى حقوقِ توحيده وبين من أشرك به .

وقال بعض السلف : كان إبراهيم عليه السلام يقول : اللهم لا تشرك من يشرك بك شيئاً بمن لا يشرك بك شيئاً .

كان بعض السلف يقول فى دعائه : اللهم إنك قلت عن أهل النار إنهم « أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت (٢) » ، اللهم لا تجمع بين أهل القسمين فى دار واحدة .

وكان أبو سليمان (٣) يقول : إن طالبنى ببخلى طالبته بجوده ، وإن

---

(١) صنمان مشهوران من أصنام العرب التى كانت تعبد فى الجاهلية قبل الاسلام .

(٢) سورة النحل ، آية ٣٨ — والآية بتمامها : « وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

(٣) لعله الزاهد القدوة أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى العنسى ، كان عديم النظير زهداً وصلاحاً ، وله كلام رفيع فى التصوف والمواعظ ، وكان كبير الشأن فى علوم الحقائق والورع ، ومن كلامه : من أحسن فى نهاره كوفىء فى ليله ، ومن أحسن فى ليله كوفىء فى نهاره ، ومن صدق فى ترك شهوة ذهب الله بها من قلبه ، والله أكرم من أن يعذب قلباً ترك شهوة له ، وأفضل الأعمال خلاف هوى النفس . وقال أحمد بن أبى الحوارى : قلت لأبى سليمان : صليت أمس صلاة فى خلوة فرأيت لها لذة ؛ فقال لى : وأى شىء ألذ منها ؟ . قلت : كونه لم يرنى أحد . فقال : يا أحمد، إنك لضعيف حيث خطر بقلبك=

طالبني بذنوبي طالبته بعفوه ، و إن أدخلني النار أخبرت أهل النار أني أحبه .

ما أطيب وصاله وما أعذبه ! وما أثقل هجره وما أصعبه !

في السخط والرضى فما أهيبه ! القلب يحبه و إن عذَّبه !

كان بعض العارفين يبكي طول ليله و يقول : إن تعذبني فإني لك محب ، و إن ترحمني فإني لك محب ! . . العارفون يخافون من الحجاب أكثر مما يخافون من العذاب .

قال ذا النون (١) : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجى .

كان بعضهم يقول : إلهي وسيدي ومولاي ! لو أنك عذبتني بعذابك كله كان ما فاتني من قربك أعظمَ عندي من العذاب .

قيل لبعضهم : لو طردك ما كنت تفعل ؟ فقال :

إن أنا لم أجد من الحِب وصلا رمت في النار منزلا ومقيلا

ثم أزعجت أهلها بندائي بكرة في عرصاتها وأصيلا

معشرُ المشركين ناحوا على من يدعى أنه يحب الجليلا

لم يكن في الذى ادعاه محقاً فجزاه به العذاب الطويلا !

= ذكر الخلق ! . وإليه تنسب كرامات وخوارق ، وهو ينسب في الصحيح إلى (داران) قرية بغوطة دمشق . وتوفى سنة خمس ومائتين .

(١) كذا بالأصل ، والصواب عربية : ذو النون ؛ ولعله ذو النون المصري ، وقد سبقت ترجمته ص ٣٠

إخوانى !

اجتهدوا اليوم فى تحقيق التوحيد ، فإنه لا ينجى من عذاب الله إلا إياه .

ما نطق الناطقون بأحسن من « لا إله إلا الله » .

تبارك ذو الجلال والإكرام ومن شهد أن لا إله إلا هو
من يغفر الذنوب ومن يمحصها غيرك يا من لا إله إلا هو
جنان خلده لمن يوحده أشهد أن لا إله إلا هو
ناره لا تحرق من يشهد أن لا إله إلا هو
أقولها مخلصاً بلا بخل أشهد أن لا إله إلا هو(١)

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين
ولا حول ولا قوة إلا بالله
العلى العظيم

---

(١) جاء بالأصل الذى بين أيدينا بعد ذلك عبارة (وآخره تم) ولا حاجة إليها .

ملحق :

كلمة فى الاخلاص

بقلم شارحَى الكتاب

معنى الاخلاص لغة :

الإخلاص فى اللغة هو التصفية ، وتمييز الشىء عن غيره ، والخالص كل شىء أبيض، والخلاصة ما خلص من الشىء نقياً ، وأخلص العبد لله ترك الرياء ، وأخلص الرجل السمنَ أخذ خلاصته ، وخَالَصَ فلانٌ فلاناً صافاه ، واستخلصه لنفسه استخصه بالمودة .

معنى الاخلاص فى الشرع :

الإخلاص فى عُرف رجال الملة هو إتقان العبادة و إخلاصها لله كأنك تراه ، وتجريد قصدِ التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب والعلائق والأغراض ، وهو منزلة الأولياء والصديقين والمصطفَيْنَ من المقربين ، لأنه كما ورد فى بعض الآثار القدسية سر من أسرار الحق تبارك وتعالى ، يودعه قلب مَن يشاء من عباده ؛ فيظل مطوياً مستوراً بين العبد وربه ، حتى يلقاه به فيجزيه عليه يوم الدين خير الجزاء ، لا يطلع عليه مَلَك فيكتبه بين

معتاد الأعمال ، ولا شيطان فيحاول إفساده ؛ وقد عقد حجة الإسلام الإمام الغزالى رضى الله عنه بحثاً طويلا ممتعاً فى كتابه « الإحياء » عن الإخلاص ، أطال فيه القول وفصَّل وأمتع ، وقد أفدنا كثيراً من الرجوع إليه و إلى غيره فى هذه العجالة .

وقد نصوا على أن قليل العمل مع وجود الإخلاص خير من كثيره بدونه ، والإخلاص هو سر النجاح فى الأعمال ، وسر القبول لها ، وسر البلوغ إلى الآمال ، والوصول إلى المطلوب مهما كان جليلا و بعيداً ، لأنه سبب لاستمداد عناية الله ومعونته ورعايته ، ومن كان الله فى عونه فقد فاز وغلب ؛ كما أن المخلصين من العباد بمنجاة من كثير من الآفات والزلات ، فهم لا يصل إليهم تضليل المضلين ، ولا وسوسة الشياطين ، ولا تلبيس إبليس ، ولذلك عند ما عزم إبليس عزمته الخاسرة الفاجرة على إضلال العباد استثنى من بينهم المخلصين ، إذ لا يستطيع معهم إضلالا ، فقال مخاطباً فى ذلك ربَّ العزة : « إلا عبادك منهم المخلصين » .

والإخلاص تتعدد جهاته ونواحيه ومقاصده فى الحياة ، ففى القمة يأتى إخلاص العبد لربه ،وهو إفراده بالعبادة والتقديس ؛ و إخلاص المسلم لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وهو حبه له وحرصه على سنته وتمسكه بهديه وفناؤه فى خدمة ملته وشرعته ؛ و إخلاص الإنسان لبنى الإنسان بأن يريد لهم الخير و يتمنى لهم الهداية والتوفيق ، و يعمل لذلك ما استطاع إليه سبيلا ؛

وإخلاص المرء لوطنه بأن يدافع عنـه ؛ ويضحى فى سبيله بالنفس والنفيس ، وإخلاص المرء لأهله وأصدقائه أو مخالطيه . . . وما استفاض الإخلاص بين جماعة من الجماعات فى شؤون الدين والدنيا إلا استفاض فيهم الخير ، وزهق من بينهم الباطل . وكانوا من خيرة السعداء .

ولذلك حرَص الأولون والكرام السابقون من صفوة هـذه الأمة على طلبه وتحقيقه والحث عليه ، إذ كانوا يرون فيه خلاصهم وخيرهم ، فها هو ذا عمر يكتب لأبى موسى الأشعرى قائلا : من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه و بين الناس .

وكان معروف الكرخى يضرب نفسه ويقول : يا نفس ! أخلصى تتخلصى ! .

وقال بعضهم : فى إخلاص ساعة نجاة الأبد ، ولكن الإخلاص عزيز .

وقيل : العلم بذر ، والعمل زرع ، وماؤه الإخلاص .

وقال الجنيد : إن لله عباداً عقلوا . فلما عقلوا عملوا ، فلما عملوا أخلصوا ، فاستدعاهم الإخلاص إلى باب البر أجمع .

كلمة الإخلاص :

اشتهر بين المسلمين إطلاق كلمة الإخلاص على شهادة أن « لا إله إلا الله » ، وصارت هذه الكلمة كعلم لهذه الشهادة ، لأن معناها أنه لا معبود

بحق إلا الله ، وليس هناك من إله يستحق وصف الْإِلٰهِيَّة بصدق إلا الله سبحانه ، و إذا أقر المرء بهذه العقيدة ، وآمن بها ، وأيقن بمعناها ، واستجاب لهداها ، فقد أخلص وجهه لله حنيفاً مسلماً ، وابتعد عن ضلالات العقائد وأباطيل الظنون ، فيتحقق فيه معنى الإخلاص كاملا ، و يسوقه إخلاصه لربه إلى إخلاصه فى سائر النواحى والجهات .

حقيقة الاخلاص :

قالوا : كما أن كل شىء صفا عن شَوْبه وخلص عنه سمى خالصاً ، كذلك يسمى العمل المصفَّى المنقى المخلَّص إخلاصاً ، وضد الإخلاص هو الإشراك والرياء ، ومن لم يرزق نعمة الإخلاص لله فقد أشرك به — نعوذ بالله من الإشراك والمشركين ! — وكما أن الشرك منه خفى وجلى كذلك الإخلاص .

ومحل الإخلاص القلب ، لأن مداره على النية والقصد ، وكلاهما من أعمال القلوب ، وقد تشدد الإمام الغزالى رحمه الله فى أمر الإخلاص وشروط تحققه ، فجعل من الرياء والميل عن شرعة الإخلاص كلَّ عمل اقترن فيه بنيةِ محضِ التقرب شىء آخر أو نية أخرى ، كفائدة فردية أو اجتماعية ، وأكثرَ لذلك من ضرب الأمثال فى جميع مناحى الحياة ؛ مما يخاف أمامه الإنسان العادى ، ويخشى على سائر أعماله ، أو جلها على أقل

تقدير ، من وجود الرياء فيها ، ولعل الغزالى رحمه الله أراد من ذلك أن يبين لنا سورة الإخلاص الكاملة ، وأن يذكّرنا بأن طريقه صعب شاق شائك لا يقدر على السير فيه إلا أولو العزم من خلصاء الرجال .

ولكن لو تذكرنا — أو لو تذكر الغزالى — أن العمل الذى اصطلحنا على تسميته بأنه « عمل دنيوى » إذا لم يحرِّم حلالاً ، ولم يحلّ حراماً ، يكون مطلوباً من العبد مثاباً عليه ، لأن الإسلام شرعة دين ودنيا ، ودستور أولى وآخرة ، وعقيدة روح وجسد ؛ لخفف من تشديده ، وخاصة أنه هو نفسه — عليه رضوان الله — يعود بعد قليل فيذكر لنا أن كثيراً من أعمال الدنيا كالطعام والشراب والنوم إذا أريد بها قصد شريف تكون كالعبادة ! . .

إذن فمدار الأمر على النية : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى » .

والسبيل إلى تحقيق الإخلاص هو حرمان النفس وقطع الطمع ، والتجرد للعبادة ، ودوام التذكر لله ، ولذلك قال سهل : الإخلاص هو أن يكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة . وقيل له : أى شىء أشد على النفس ؟ . فقال : الإخلاص ، إذ ليس لها فيه نصيب ! .

ولذلك جعلوا من آفات الإخلاص وحوائله الرياء وشهوات النفس والرغبة فى متاع الحياة .

وقد ترتب على وجود الإخلاص وعدمه اختلاف فى جزاء العبد على عمله ، فالعمل الذى كله رياء لا ثواب له قطعاً ، بل هو سبب للمقت واللعنة ؛ والعمل الذى كله إخلاص سبب لعلو الدرجات ومضاعفة الثواب ، وتلك منزلة المقربين ؛ والعمل الذى يغلب فيه الإخلاص ويقل حظ النفس ، له ثواب وأجر على الظاهر ، وقد تشدد بعضهم فقال بعدم الثواب له ، وقد اختلفوا أيضاً فى العمل المختلط المتساوى ، وفى العمل الذى يكثر فيه الرياء أو حظّ النفس ويقل الإخلاص ، وحسبنا فى هذا المجال مشكاة ونوراً قول الحق : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » والله عليم بذات الصدور .

ذكر الاخلاص فى القرآن :

وقد أفاض القرآن الكريم فى ذكر الإخلاص لما له من جليل الشأن وعظيم الخطر ، فترددت كلمة الإخلاص وما تصرف منها فى آيات كثيرة من الكتاب المجيد ، واستفاضت حول كل كلمة منها معان يستطيع المسلم بقليل من المراجعة والتدبر أن يستضىء بأشعتها وأضوائها ، وحسبنا فى هذه

العجالة أن نذكر طائفة من هذه الآيات ، وعقيب كل آية السورةَ التى وردت فيها ، ورقم الآية .

١ — ألا لله الدين الخالص . « الزُمَر — ٣ »

٢ — إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين . « النساء — ١٤٦ »

٣ — إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار . « ص — ٤٦ »

٤ — إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين .
« الزمر — ٢ »

٥ — قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين . « الزمر — ١١ »

٦ — ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون . «البقرة — ١٣٩ »

٧ — وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين .
« الأعراف — ٢٩ »

٨ — و إذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين .
« لقمان — ٣٢ »

٩ — فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .
« غافر — ١٤ »

١٠ — هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين .
« غافر — ٦٥ »

١١ — وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء .

« البينة — ٥ »

١٢ — إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً . « مريم — ٥١ »

١٣ — كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلَصين

« يوسف — ٢٤ »

١٤ — ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين .

« الحجر — ٤٠ »

١٥ — وما تجزون إلا ما كنتم تعملون ، إلا عباد الله المخلصين .

« الصافات — ٤٠ »

١٦ — فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ، إلا عباد الله المخلصين .

« الصافات — ٧٤ »

١٧ — فكذبوه فإنهم لمحضرون ، إلا عباد الله المخلصين .

« الصافات — ١٢٨ »

١٨ — سبحان الله عما يصفون ؛ إلا عباد الله المخلصين .

« الصافات — ١٦٠ »

١٩ — لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين .

« الصافات — ١٦٩ »

٢٠ — قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

« ص — ٨٣ »

أرأيت كيف استفاض حديث الإخلاص العطر فى كتاب الله المجيد ، ورأيت كيف أحيط الإخلاص والمخلصون فى كل مكان بالتكريم والتمجيد؟!

سورة الاخلاص

وفوق هذا فإن فى القرآن الكريم سورة مستقلة خاصة اسمها « سورة الإخلاص » وهى أشهر من الشمس بين المسلمين ، يرتلونها صباح مساء ذاكرين بها وحدانية الله وصفاته ، وهى : « بسم الله الرحمن الرحيم ، قل هو الله أحد ، الله الصمد، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد» .

وقد أفاض المفسرون والصوفيون وأرباب الخصائص القرآنية فى تفسير هذه السورة ، والحديث عن أسمائها وخصائصها ، وأوقات تلاوتها المستحبة ، وعدد المرات المختلفة التى تتلى بها ، والنعم التى تكتب لمن يتلونها ، والأسرار العجيبة المستكنَّة فى ألفاظها ومعانيها ، والدلائل العديدة المستنبطة من آياتها وغير ذلك ، حتى أفردها كثيرون بالبحث والتفسير ؛ ومن الممكن لك أن تعود إلى هــذه الينابيع فى كتب القوم وآثارهم لتأخذ من رحيقها ما تريد وتطيق ؛ وحسبنا فى هذه العجالة أن نفسر السورة تفسيراً وجيزاً مناسباً للمقام .

إنها تسمى سورة الإخلاص لأنها خالصة لله ، ليس فيها سوى وصفه ، ولها فوق هذا كثير من الأسماء ، منها : التفريد ، والتوحيد ، والتجريد ، والنجاة ، والمعرفة، والجمال، والصمد ، والأساس، والمانعة ، والمنفرة، والمذكرة، والأمان ، وغير ذلك كثير .

وتفسيرها هو : (قل) يا محمد ، أو يا من يتأتى منك القول (الله أحد) أى واحد فرد ، لا نظير له ولا شبيه ولا مثيل ولا شريك ، ليس كمثله شىء ، (الله الصمد) أى الذى يصمده الخلائق ، أى يقصدونه فى حاجاتهم ، من قولهم صمد إليه يصمد بمعنى قصده ، وذلك لأنه غنى عن العالمين، وكل من فى العالمين ، وكل ما فى العالمين محتاج إليه ؛ وقيل الصمد الذى لا يأكل ولا يشرب ، أو الذى لا جوف له ، أو السيد ، أو الدائم الباقى الكافى ، أو الذى لا يخاف مَن فوقه ولا يرجو من تحته ؛ أقوال فى معنى الصمد ، والأشهر الأول ، (لم يلد) لأنه يتعالى عن المجانسة ، ولا يحتاج إلى من يعينه أو من يخلفه ، إذ هو لا يفنى ولا يفتقر . (ولم يولد) لأنه لم يسبقه عدم ولا والد له ، (ولم يكن له كفواً أحد) أى لا يوجد من يماثله من صاحبة أو غيرها ، وليس له نظير يشاركه أو يعادله فى عظمته ، « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .

وقد روى بشأن سورة الاخلاص هذه كثير من الأحاديث لا نرانا بحاجة الآن إلى ذكرها هنا .

وحسبنا منها قول الرسول ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد فكأنما قرأ ثلث القرآن » ، وقوله : « من قرأ سورة الاخلاص بإخلاص حرم الله جسده على النار » ، وقوله . « من قرأ (قل هو الله أحد) عشر مرات بنى الله له بيتاً فى الجنة » ، وقوله : « من قرأ (قل هو الله أحد) كل يوم خميس مرة نودى يوم القيامة من قبره : قم يا مادح الله فادخل الجنة » . وقال رجل لرسول الله ﷺ : إنى أحب سورة قل هو الله أحد ، فقال له الرسول : حبك إياها أدخلك الجنة ! .

ذكر الاخلاص فى السنة :

كذلك استفاض ذكر الاخلاص فى سنة الرسول عليه الصلاة والسلام فقد روى البخارى أن أبا هريرة قال : يا رسول الله ، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله ﷺ : لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك (أى قبلك) لما رأيت من حرصك على الحديث ؛ أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ، أو من نفسه .

وروى مسلم أن الرسول ﷺ قال : إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم .

وقال : قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الأغنياء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه .

وروى الترمذى أنه قال : إذا جمع الله الناس يوم القيامة ليوم لاريب فيه ، نادى مناد : من كان أشرك فى عمل عمله لله أحدا فليطلب ثوابه من عند غير الله ، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك .

وعن أبى موسى الأشعرى قال : خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : أيها الناس ، اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال رجل : وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ ، قال : قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه ، ونستغفرك لما لا نعلمه ،

ورُوى أن الرسول ﷺ قال : طوبى للمخلصين ! أولئك مصابيح الهدى ، تنجلى عنهم كل فتنة ظلماء ! .

ورُوى عن معاذ بن جبل قال : لما بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قلت : أوصنى . فقال ﷺ : أخلص دينك يكفك القليل من العمل (أى اجعل إيمانك خالصاً مما يشوبه من شهوات النفس ، وأخلص طاعتك لله يصبح القليل من عملك كثيراً مباركا) .

أقوال فى الإخلاص :

قال رويم : الإخلاص فى العمل هو ألا يريد صاحبه عليه عوضاً فى الدارين .

وقال أبو عثمان : الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط .

وقيل : الإخلاص ما استتر عن الخلائق وصفا عن العلائق .

وقيل : الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها .

وقال الجنيد : الإخلاص تصفية العمل من الكدورات .

وقال المحاسبي : الإخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب .

* * *

أما بعد ، فرزقنا الله و إياك نعمة الإخلاص وحلاوة التقوى ، وجنبنا شهوات النفس وجواذب الدنيا ، وأنار لنا السبيل باليقين والهدى ، وحفظنا من زلات الرياء والنفاق ، وغفر لنا ما لا نعلم وما لا نستطيع من حظوظ النفس ودواعيها ، إنه نعم المولى ونعم النصير ؟

فهرس الكتاب

الموضوع

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة